



رحلة مع الصادقين

فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار

دار التقوى
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الشيخ

محمود المصرى

(أبو عمار)

تقديم فضيلة الشيخ

محمد حسان

(أبو أحمد)

رقم الإيداع ١٣٥٦٨/٢٠٠٤
الترقيم الدولى: 4 - 47 - 6092 - 977

إهداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فبين يديك أخى الكريم وأختى الكريمة الطبعة الثانية من كتاب (صدقوا ما عاهدوا) وهى طبعة منقحة ومزيدة.. أضفت إليها فوائد لم تكن فى الطبعة الأولى واستدركت بعض الأخطاء التى لا تخلو من أى كتاب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ سائلاً الحق جل جلاله أن يرزقنى وإياكم الصدق والإخلاص فى الأقوال والأعمال.

ولسان حالى ومقالى:

يا مُنزل الآيات والقرآن	بينى وبينك حرمة الفرقانِ
إشرح به صدرى لمعرفة الهدى	واعصم به قلبى من الشيطانِ
يسِّر به أمرى وقضّى مآربى	وأجر به جسدى من النيرانِ
واحطط به وزرى وأخلص نيتى	واشدد به أزرى وأصلح شانى
واقطع به طمعى وشرِّف همتى	كثِّر به ورعى وأحيى جَنانى
أنت الذى صورتنى وخلقتنى	وهديتنى لشرائع الإيمانِ
أنت الذى أطعمتنى وسقيتنى	من غير كسب يدٍ ولا دكانِ
أنت الذى آويتنى وحبوتنى	وهديتنى من حَيرة الخذلانِ
وزرعت لى بين القلوب مودةً	والعطف منك برحمةٍ وحنانِ
ونشرت لى فى العالمين محاسناً	وسترت عن أبصارهم عصيانى
والله لو علموا قبيح سريرتى	لأبى السلام علىَّ مَن يلقانى

ولأعرضــوا عنى وملّوا صـحبتى ولبؤت بعــد كــرامــةٍ بهـــوان

لكــن ستـــرت معايبـــى ومثالبى وحلُمـــت عن سَقطى وعن طغيانى

فلــك المحـــامد والمدائـــح كلهـــا بخواطـــرى وجوانـــحى ولســـانى

* * *

* أهدى هذا الكتاب المتواضع إلى مَن سهرا لأنام، إلى مَن جاعا لأشبع، إلى من بذلا الغالى والنفيس من أجلى.

* إلى أمى الحبيبة وإلى أبى الحبيب - جزاكما الله عنى خير الجزاء، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتكما فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأسأل الله أن يجعلنى ابناً باراً بكما فى الدنيا والآخرة.

* وأهدى هذا الكتاب إلى رفيقة عمرى وزوجتى أم عمار التى ضحّت بوقتها من أجلى فجزاك الله عنى خير الجزاء.

محمود المصرى

أبو عمار

مقدمــة

الحمد لله الذى نوّر بكتابه القلوب وأنزله فى أوجز لفظ وأعجز أسلوب فأعيت بلاغته البُلغاء وأبكمت فصاحته الخطباء وأعجزت حكمته الحكماء فهو الحُجة البالغة والدلالة الدامغة والنعمة الباقية والعصمة الواقية وهو الشفاء لما فى الصدور والحكَم العدل عند مشتبهات الأمور.

- الحمد لله إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأراضين ومالك يوم الدين. الذى لا فوز إلا فى طاعته ولا عز إلا فى التذلل لعظمته ولا غنى إلا فى الافتقار لرحمته ولا هدى إلا فى الاستهداء بنوره ولا حياة إلا فى رضاه ولا نعيم إلا فى قُربه ولا صلاح إلا فى الإخلاص له.

إذا أُطيع شكر، وإذا عُصى تاب وغفر، وإذا دُعى أجاب، وإذا عومل أثاب، لا إله إلا هو سبحانه لا يحصى عدد نعمه العادّون، ولا يؤدى حق شكره الحامدون، ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون، بديع السماوات والأرض الحى القيوم.

سبحانه سبّحت له السماوات وأملاكُها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال والشجر والدواب وكل رطب ويابس وكل حى وميت﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ (الإسراء: ٤٤).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

(آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد، فإننا نعيش حقبة من الزمان نفتقد فيها إلى القدوات الصالحة ونحتاج أن نتأسى بمن أمرنا الله أن نتأسى به فقد قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ (الأحزاب: ٢١).

ونحتاج كذلك لأن نتأسى بأصحابه الكرام فهم الذين قال الله فيهم ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البينة: ٨).

* والمسلم اليوم يعيش فى غربة شديدة لا يدرى أين يجد تلك القدوات وبخاصة أننا نعيش فى وقت تغيرت فيه المفاهيم وانقلبت فيه الموازين وانتكست فيه عقول الكثير من بنى جلدتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحال كماقال رسول الله ﷺ: «سيأتى على الناس سنوات خداعات يُصَدق فيها الكاذب ويُكَذب فيها الصادق ويؤتمَنَ فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة»(١).

وهنا تكون الحاجة الشديدة لأن نتلمس الخُطا لإخراج جيل يَصْدُق مع الله فَيصْدُقه الله ويُجرى الخير على يديه.

ولن يكون ذلك إلا باتباع النبى ﷺ وسلفنا الكرام فإنه لا ينصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، لأن الصدق هو الأمر العظيم الذى ينبنى عليه خصال الخير كلها.

فحديثى عن الصدق ما هو إلا خطوة فى طريق بعث الأمة التى طال ليلها وتمادت غفلتها، وازدادت غربتها.... إنها خطوة لننفض غبار الغفلة ونقوم جميعًا لنحمل مشعل النور والهداية للبشرية جميعًا.... تلك البشرية التى جعل الله تلك الأمة سببًا لخروجها من الظلمات إلى النور... فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

إنها الأمانة التى تخلى عنها الكثير من أبناء الأمة المسلمة وذهبوا يلهثون وراء الدنيا وشهواتها ونسوا، بل تناسوا الحكمة التى خلقهم الله من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(١) رواه أحمد وابن ماجة عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٥٠)

وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) فما أحوج الأمة إلى أن تصدق الله ليكتب لها الهداية بل ويهدى بها الأمم من حولها.

فالله أسأل أن ينفع بتلك الكلمات التى خرجت من قلبٍ يشعر بعمق المأساة فى هذه الأمة المسلمة وحاجتها إلى الصدق مع الله.

وأسأله تعالى أن يجعل هذه الكلمات من الباقيات الصالحات وأن ينفعنى بها يوم أُدرج فى أكفانى وينفع بها من رام الانتفاع بها ويجعلها للجميع ذخراً فى يوم الحسرات على ضياع الأوقات فى غير الطاعات يوم يوقف العبد بشحمه ولحمه ودمه وعصبه وشعره يُعرض على الله لا يخفى منه خافٍ... الجسد مكشوف والضمير مكشوف والقلب مكشوف والصحيفة مكشوفةوالتاريخ مكشوف ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾ (الحاقة: ١٨).

فاللهم ارزقنا الصدق فى القول والعمل ونسألك حسن الخاتمة. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

كتبه

الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

أبو عمار

منزلة الصدق

يقول الإمام ابن القيم عن منزلة الصدق:

وهى منزلة القوم الأعظم الذى منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم من لم يسرعليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله فى أرضه الذى ما وُضع على شىء إلا قَطَعَه ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه.

مَن صال به لم تُرد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحل الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذى دخل منه الواصلون إلى حضرة ذى الجلال، وهو أساس بناءِ الدين،وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التى هى أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم فى الجنات تجرى العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم فى هذه الدار مددٌ متصلٌ ومعين.

وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين وخصّ المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ (التوبة: ١١٩).

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾(النساء: ٦٩).

فهم الرفيق الأعلى ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده إحساناً منه وتوفيقاً ولهم مرتبة المعية مع الله فإن الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثانى درجة النبيين.

وأخبر تعالى أن مَن صدّقه فهو خير له:

فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١)﴾ (محمد: ٢١)، وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة

والصبر بأنهم أهل الصدق فقال: ﴿ .... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... ﴾ (البقرة: ١٧٧)

وهذا صريح فى أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسّم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[1] (الأحزاب: (٢٤).

والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محاربٌ للآخر.

وأخبر سبحانه أنه فى يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ (المائدة: ١١٩).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر: ٣٣)، فالذى جاء بالصدق هو مَن شأنه الصدق فى قوله وعمله وحاله.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٠).

وأخبر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه سأله أن يهب له لسان صدق فى الآخرين فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٤).

وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس: ٢).

وقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر: ٥٤، ٥٥)

---

(١) وهذا تقسيم خاص بأمر الصدق، وإلا فإن الله عز وجل قد قسّم الناس إلى: تائب وظالم، وإلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات ومؤمن وكافر....

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق وقدم الصدق ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق فى هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك فى الدنيا والآخرة (١).

أنواع الصدق ومعانيه

قال صاحب المنازل: «الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجوداً».

الصدق: هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه.

كما يقال: عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة وكذا قولهم: حلاوة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء.

ومن هذا أيضاً صدق الخبر لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته فى ذهن السامع، فالتمام والوجود نوعان خارجى وذهنى فإذا أخبرت المخاطب بخبر صادق حصلت له حقيقة المخبر عنه بكماله وتمامه فى ذهنه.

ومن هذا: وصفهم الرمح بأنه «صادق الكعوب» إذا كانت كعوبه صُلبة قوية ممتلئة (١).

إن لفظ الصدق قد يُستعمل فى معان.

١- الصدق فى القول:

فحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه ولا يتكلم إلا بالصدق، والصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها وينبغى أن يحترز عن المعاريض فإنها تجانس الكذب إلا أن تمس الحاجة إليها وتقتضيها المصلحة فى بعض الأحوال، وقد كان النبى ﷺ إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها (٢) لئلا ينتهى الخبر إلى الأعداء فيتهيؤوا لقتاله.

---

(١) مدارج السالكين ـ الجزء الثانى، ص ٢٩١ ، ٢٩٢.

(٢) رواه البخارى (٤٤١٨) وأخرجه مسلم فى كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٦٩/ ٥٤)، وفى صحيح الجامع (٤٦٦٢) وأخرجه أبو داود والنسائى عن كعب بن مالك.

وقال ﷺ: «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمى خيرًا»(١).

وينبغى أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله: وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض فإن كان قلبه منصرفاً عن الله مشغولاً بالدنيا فهو كاذب.

«وهذا أمر خاصٌ بالنية لأن التوجه بالنية هو الأساس فى الأعمال كلها».

والصدق مطلوب فى كل كلمة تخرج من فم المؤمن حتى لو كان الكلام على سبيل المزاح، فقد قال الصادق المصدوق ﷺ: «أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خُلقه»(٢).

وكذلك فعلى المسلم أن يصدق فى بيعه وشرائه، وذلك بأن لا يقول إلا الصدق، فلا يكذب ولا يغش ولا يخدع.

ولذلك فإننا نجد أن الإسلام قد انتشر فى أواسط أفريقيا بصدق المسلمين فى بيعهم وشرائهم لدرجة أن الناس كانوا يعجبون من صدق المسلمين وتسامحهم، مما جعلهم يدخلون فى دين الله أفواجًا.

فما أحوج الأمة لتلك الأخلاق والمعاملات التى جاء بها الإسلام لسعادة البشرية كلها.

ولقد توجه خليل الرحمن إبراهيم ــ عليه السلام ــ إلي الله بالدعاء أن يرزقه لسان صدق، فقال: ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ** (٨٤) ﴾ (الشعراء: ٨٤).

فأكرمه الله عز وجل، فقال عنه وعن ذريته: ﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا** (٤٩) **وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** (٥٠) ﴾ (مريم: ٤٩ ــ ٥٠).

ولا غرابة فى أن يتوجه خليل الرحمن إلى الله بهذا الدعاء، فإن الصدق سبب

---

(١)متفق عليه عن أم كلثوم بنت عقبة ــ صحيح الجامع (٥٣٧٩).

(٢)رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

لمغفرة الذنوب وصلاح الأعمال، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾ (الأحزاب: ٧٠ ــ ٧١).

والقول السديد كما جاء فى بعض التفسيرات (قول الصدق ــ وقيل هو قول لا إله إلا الله).

٢- الصدق فى النية والإرادة:

وذلك يرجع إلى الإخلاص، فإن مازج عمله شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يكون كاذباً كما فى حديث الثلاثة[1].

القارىء والمتصدق والمجاهد، لما قال القارئ: قرأت القرآن..... إلى آخره، إنما كذَّبه الله فى إرادته ونيته، لا فى نفس القراءة، وكذلك صاحباه.

ولذا قال الحق جل وعلا عن المجاهدين فى سبيل الله ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أى إذا حضر القتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ أى لو صدقوا فى النية، وذلك بأن يريدوا بهذا العمل وجه الله،.... وهم الذين يضحون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، فهم أشد الناس حاجة إلى النية الصالحة ﴿لكان خيرًا لهم﴾ أى لكان خيراً لهم فى دينهم ودنياهم وأخراهم.

وقال فى وصف المنافقين ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ (هود: ١٥ ــ ١٦).

فهؤلاء نيتهم كانت وجهتها إلى الدنيا وليس فى عملهم أو نيتهم شىء لله جل وعلا.

٣- الصدق فى العزم والوفاء به:

أما الأول فنحو أن يقول: إن آتانى الله مالاً تصدقت بجميعه، فهذه العزيمة قد

(١) أخرجه مسلم وغيره عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢٠١٤) بطرف «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه....».

تكون صادقة وقد يكون فيها تردد.

وأما الثانى فنحو أن يصدق فى العزم وتسخو النفس بالوعد لأنه لا مشقة فيه إلا إذا تحققت الحقائق وانجلت العزيمة وغلبت الشهوة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)﴾(الأحزاب: ٢٣).

وقال فى آية أخرى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾(التوبة: ٧٥، ٧٦، ٧٧).

ولقد زكّى الله نبيه إسماعيل ـ عليه السلام ـ فى كتابه، فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤)﴾(مريم: ٥٤).

٤- الصدق فى الأعمال:

وهو أن تستوى سريرته وعلانيته حتى لا تدل أعماله الظاهره من الخشوع ونحوه على أمر فى باطنه ويكون الباطن بخلاف ذلك.

وكان أحد الصحابة يقول: «أعوذ بالله من خشوع النفاق. قالوا؟ وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب غير خاشع».

قال مطرف: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل" هذا عبدى حقاً». . . . فالصدق أساس الإيمان وشرط قبول الأعمال والطاعات وعليه يكون الثواب يوم القيامة والدرجات، وهو مفتاح كل خير وهو الفرقان بين أهل الإيمان والنفاق، وهو الباب والسبيل للوصول إلى مرتبة الصديقين التى هى أفضل مراتب الخلق بعد النبوة والرسالة.

٥- الصدق فى مقامات الدين:

وهو أعلى الدرجات كالصدق فى الخوف والرجاء والزهد والرضى والحب والتوكل، فإن هذه الأمور لها مبادىء ينطلق عليها الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق فالصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سُمى صاحبه صادقاً، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ (البقرة: ١٧٧)

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ﴾ (الحشر: ٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) ﴾ (الحجرات: ١٥).

ولنضرب للخوف مثلاً فنقول: ما من عبدٍ يؤمن بالله إلا وهو يخاف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم وهو غير بالغ إلى درجة الحقيقة.... ألا تراه إذا خاف سلطاناً كيف يصفرّ ويرتعد خوفاً من وقوع المحذور، ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند فعل المعصية.... ولذلك قال عامر بن عبد قيس: عجبت للجنة نام طالبها وعجبت للنار نام هاربها»[١].

الأنبياء وكمال الصدق

إن أنبياء الله هم القدوة وهم الأسوة الذين أمرنا الله أن نقتدى بهم ونتأسى بهم ونسير على نهجهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

(الأنعام: ٩٠)

وصفة الصدق لازمة للنبوة والأنبياء فهم جميعاً معصومون من صغائر الذنوب فضلاً عن كبائرها - فإن كان الأمر كذلك فعليك يا أخى الحبيب أن تجعلهم أسوةً لك وقدوة لك تسير على نهجهم وتتحلى بأخلاقهم وتصدق مع الله وتجعل الصدق صفة لازمة لك على الدوام فى كل زمان ومكان ممتثلاً لأمر رسول الله ﷺ **«اتق الله حيثما كنت....»**[٢].

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٦٨، ٣٦٩ بتصرف.

(٢) رواه الترمذى وأحمد والحاكم وأبو داود ـ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧).

وسل نفسك أيها المسلم هل يحق لمسلمٍ كرّمه الله بنعمة الإسلام من بين المخلوقات أن يتصف بتلك الصفة المذمومة ألا وهى الكذب.

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه والله لو نادى منادٍ من السماء أن الكذب حلال ما كذبت.

فكيف يا عبد الله وقد حرّم الله الكذب وجعله من الصفات التى لا تليق بمسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر.

فوالله يا أخى إنى أخاف عليك من يوم قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠)

- أسأل الله تعالى أن يجيرنى وإياكم من الكذب ومغبته ومن سواد الوجه ومذلته، ومن غضب الجبار ونقمته.... فهيا نقتدى بأنبياء الله الذين وصفهم الله بالصدق فى كتابه.... فلقد وصف الله أنبياءه بالصدق وقال على وجه الخصوص عن النبى محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ (الصافات: ٣٧).

وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)

وعن إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤)

وعن يوسف عليه السلام: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: ٥١)

وأما ما ورد فى كذب إبراهيم عليه السلام ثلاث كذبات، فاسمع لماقاله النبى ﷺ.... ففى الحديث المتفق عليه، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات.... ثنتين فى ذات الله: قوله (إنى سقيم)، والثانية قوله: (بل فعله كبيرهم هذا) وواحدة فى شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت من أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختى فإنك أختى فى الإسلام فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرى وغيرك.... فلما دخل أرضه

رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك فأرسَل إليها فأُتى بها وقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقُبضت يده قبضة شديدة فقال لها: ادعى الله أن يُطلق يدى ولا أضرك. ففعلت فعاد فقُبضت أشد من القبضة الأولى فقال لها مثل ذلك، ففعلت فعاد فقُبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال: ادعى الله أن يطلق يدى فلك الله أن لا أضرك ففعلت وأُطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بإنسان فأخرِجها من أرضى وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشى فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف [١]؛ فقال لها: مهَيم؟ [٢]؛ قالت: خيراً.. كفّ الله يد الفاجر وأخدم خادماً».

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بنى ماء السماء» [٣].

يقل العلماء إن هذا الحديث ليس فيه ما يدل على عدم عصمة نبى الله إبراهيم عليه السلام لأن النبى ﷺ لم يقصد بهذه الكذبات الثلاث حقيقة معنى الكذب وإنما قصد أن إبراهيم عليه السلام أخبر بإخبارات توهم الكذب فى الصورة وهى ليست بكذب فى الحقيقة.

فقوله «إنى سقيم» أى أنه سقيم من عبادتهم للأصنام التى لا تنفع ولا تضر.

وقوله: ﴿**بل فعله كبيرهم هذا**﴾لم يكن كذباً بل كان نوعاً من الحُجج الدامغة أراد بها نبى الله إبراهيم عليه السلام أن يقيم الحجة على قومه، فحينما سألوه مَن حطم الأصنام؟ أشار إلى الصنم الأكبر سخريةً وتهكماً بهم وبهذه الأصنام ثم لما رآهم متعجبين من كلامه أجابهم بالجواب المُقنع ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾

وأما قوله لزوجته سارة: (إنك أختى) فإنما قصد به الأخوة الإيمانية وهى أخوة العقيدة كما قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾

---

(١)انصرف من الصلاة التى كان قام إليها.

(٢)أى ما شأنك وما خبرك.

(٣)متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٥٢٠٢).... واللفظ لمسلم.

الحق ما شهدت به الأعداء

إن مِن دأب العدو أنه يتربص بعدوه تربصاً شديداً وبخاصة إذا كانت العداوة من أجل العقيدة.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان كفار قريش لا يشهدون للنبى ﷺ إلا بالصدق والأمانة فكانوا يسمونه (الصادق الأمين).

وروى البخارى[1] قصة هرقل ملك الروم مع أبى سفيان بن حرب قبل إسلامه عندما كان فى تجارة بالشام وكيف أوقفه هرقل وسأله عشرة أسئلة علم منها هرقل مدى صدق النبى ﷺ وأنه سيملك موضع قدمى هرقل وكان من جملة هذه الأسئلة أنه قال له: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قال أبو سفيان ما عرفنا عليه كذباً قط. فأجابه هرقل وقال ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله - ثم سأله هرقل وقال فماذا يأمركم به؟

قال أبو سفيان إنه يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

بل لقد روى أن رجلاً من سادات قريش لقى أبا جهل فى أحد طرقات مكة فاستوقفه ثم قال له يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك. . . . أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة، فقال: والله إن محمداً صادق وما كذب قط.

قال فما يمنعكم من اتباعه؟ فقال أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم وتنازعنا الزعامة والفخر فأطعَموا فأطعمنا وسقوا فسقينا وأجاروا فأجرنا حتى كنا كفرسى رهان ثم زادوا علينا فقالوا بُعث منا نبى فمن أين نأتيهم بنبى؟! والله لا نؤمن به ولا نتّبعه، .وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ

---

(١) أخرجه البخارى برقم ٧ عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره. . . .

ـ ولقد ورد فى رواية مسلم أن هرقل دعا بترجمانه، فقال له: قل لهم إنى سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبى، فإن كذبنى فكذّبوه قال: فقال أبو سفيان: «وايم الله لولا مخافة أن يؤثر علىَّ الكذب لكذبت» ـ فهذا أبو سفيان قبل إسلامه يخشى أن يؤثر عليه الكذب فكيف بك يا أخى المسلم يا مَن كرّمك الله بنعمة الإسلام.

لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾ (الأنعام: ٣٣).

فهم يعلمون أن ما جاء به النبى ﷺ هو الحق الذى لا مراء فيه ولكنهم قوم يستكبرون كما قال الحق جل وعلا: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤)

وما زال التحدى قائماً

ولقد كان لكل نبى معجزة من المعجزات ولكنها كانت تنتهى بموت النبى أو تكون فى وقت معين أو لقوم بعينهم أما معجزات النبى ﷺ فهى كثيرة جداً ولكن أعظمها شأناً معجزة القرآن الذى جاء به هدى للناس أجمعين.

وهو من أعظم الدلائل على صدق النبى ﷺ فلو كان من عند غير الله لحدث الاختلاف والتناقض ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)

بل إن العلماء يقولون على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر إن سورة عبس من أعظم الأدلة على أن هذا القرآن هو كلام الحق تبارك وتعالى وليس من كلام النبى ﷺ كما زعم المشركون، إذ لو كان من كلام النبى لما أتى بآيات يعاتبه فيها ربه جل وعلا.

- ولقد تحدى الله جل وعلا الثقلين من الإنس والجن على مدار العصور والأزمان بهذا القرآن فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ (الإسراء: ٨٨).

فلما عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن خفف الله التحدى فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾ (هود: ١٣).

فلما عجزوا عن ذلك والله يعلم عجزهم قبل ظهور هذا العجز فقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن

﴿كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ (البقرة: ٢٣).

- وما زال التحدى قائماً إلى قيام الساعة وما استطاع الكون بأكمله بكل ما فيه من شعراء وأدباء أن يأتوا بآية واحدة **﴿والله غالب على أمره﴾**.

إخبار ببعض الغيب وتأييد من عالم الغيب

بل إن النبى ﷺ لما تلى عليهم تلك الآيات **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾** (سورة المسد).

فقد أخبر أن أبا لهب وامرأته من أهل النار، وهذا هو الذى حدث فقد ماتا على الشرك بالله جل وعلا.

وفى الحديث يخبرنا النبى ﷺ أيضاً عن هلاك كسرى وقيصر، وأنه لا كسرى ولا قيصر بعدهما.

ففى الحديث الصحيح يقول: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله»(١).

وقد كان ذلك بالفعل فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم جميعًا.

بل إن الحبيب ﷺ أخبر بالعشرة المبشرين بالجنة(٢) فماتوا جميعاً على التوحيد والإيمان.

وكذلك من الغيبيات التى أخبر عنها النبى ﷺ إخباره عن علامات الساعة الصغرى والكبرى وهما من الغيب.. وهذا لايتعارض مع قوله تعالى إخباراً عن النبى ﷺ : **﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (الأعراف: ١٨٨)

---

(١) متفق عليه عن جابر بن سمرة وعن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٨٤٦).

(٢) أخرجه أحمد عن سعيد بن زيد والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف بطرف «أبو بكر فى الجنة...» صحيح ـ صحيح الجامع (٥٠).

فإن النبى ﷺ لا يعلم الغيب على إطلاقه وإنما يعلم بعض الغيبيات التى يُطلعه الحق تبارك وتعالى عليها وهذا واضح فى قول الله عز وجل: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)** ﴾

(الجن: ٢٦، ٢٧، ٢٨)

ولقد رأينا الكثير من علامات الساعة الصغرى إلا بعض العلامات اليسيرة التى سيصاحب وقوعها بعض العلامات الكبرى.

وكذلك إخباره عن أصناف من أهل النار فى حياته وبعد موته.

فمن بين الذين أخبر أنهم من أهل النار فى حياته رجل يقال له (قُزمان).

ولقد كان هذا الرجل يقاتل فى غزوة أحد قتالاً شديداً فقال بعض الصحابة ما أغنى أحد اليوم ما أغنى فلان (يعنى قزمان) فقال النبى ﷺ إنه من أهل النار، فقال بعض الناس أنا صاحبه.

فاتبعه فجُرح قزمان فاستعجل الموت فوضع ذباب سيفه فى صدره ثم تحامل عليه حتى أنفذه فرجع ذلك الرجل فقال: «أشهد أنك رسول الله فقال ﷺ : وما ذاك ؟ فقال: إن الرجل الذى ذكرت آنفاً إنه من أهل النار كان من أمره كذا وكذا»[1] .

بل كان النبى ﷺ فى يوم بدر يشير إلى مصارع القوم من المشركين ويقول هذا مصرع فلان (وذلك قبل بدء القتال) فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[2] .

وأما عن إخباره عن أهل النار الذين سيظهرون بعد موته فمنهم قوله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة

(١) قزمان. . . . من أهل النار، متفق عليه. . . أخرجه البخارى عن سهل بن سعد برقم ٢٨٩٨، ومسلم برقم (١١١/ ١٧٨) كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) أخرجه مسلم عن أنس ـ باب فى غزوة بدر ـ كتاب الهجرة والمغازى.

ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[(١)]

الكذابون والمسيح الدجال

بل لقد أخبر النبى ﷺ عن الكذابين الذين سيدّعون النبوة سواءً كان ذلك فى عهده أو من بعده فقال:

«سيكون فى آخر الزمان ناس من أمتى يحدثونكم بما لم تسمعوا به أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»[(٢)]

وفى رواية «يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»[(٣)]

فهؤلاء الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين.

ونحن نعلم جيداً أن أهل الكذب يكثرون فى كل زمان ومكان وبخاصة فى هذا الزمان الذى نحياه، ولكن النبى ﷺ يخص فى تلك الأحاديث عمالقة الكذب الذين يدّعون النبوة فيقول:

«إن بين يدى الساعة ثلاثين دجالاً كذابًا كلهم يزعم أنه نبى»[(٤)]

ولما ادّعى مسيلمة الكذاب أنه نبى يوحَى إليه من السماء قام الناس وذهبوا يسألون حَبر الأمة ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال لهم صَدَق. أما سمعتم قول الله ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾(الأنعام: ١٢١).

وقد ظهر فى العصر الحديث «ميرزا أحمد القاديانى» فى الهند وادعى النبوة وأنه المسيح المنتظر وأن عيسى عليه السلام ليس بحى فى السماء وصار له أتباع وأنصار ولكن ولله الحمد قام الكثير من العلماء فردّوا عليه وبيّنوا للناس أنه أحد الدجالين.

وكذلك فإن النبى ﷺ لما أخبر بهؤلاء الكذابين الدجالين فقد أخبر بآخر

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٧٩٩).

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٦٦٧).

(٣) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٨١٥١).

(٤) متفق عليه وهذا لفظ أحمد عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (٢٠٤٨)، أما المتفق عليه عن أبى هريرة فبلفظ «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله».

الدجالين الكذابين وهو المسيح الدجال الذى يُعد من أكبر الفتن التى يتعرض لها الناس منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

قال ﷺ : «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»(١) .

وفى رواية: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال»(٢) .

- فهذا أكبر فتنة وُجدت على الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة، فهو أكبر كاذب على وجه الأرض حتى وصل به الكذب إلى أنه سيقول أنا ربكم!!.

كيف تنجو من فتنة الدجال ؟!!

وللنجاة من الدجال ومن فتنته لا بد من المحافظة على تلك الأشياء.

١- المحافظة على الدعاء الذى أمرنا به المعصوم ﷺ دبر كل صلاة: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»(٣) .

فمن استعاذ بالله أعاذه الله ومن حافظ على هذا الدعاء حفظه الله.

٢- حفظ سورة الكهف أو عشر آيات من أولها أو عشر آيات من آخرها، بل مَن حفظ الثلاث الأول من سورة الكهف عُصم من الدجال والحمد لله رب العالمين.

قال ﷺ : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال»(٤).

وفى رواية لمسلم وأبى داود: «من آخر الكهف».

وفى رواية: «الآيات الثلاث من أول سورة الكهف»(٥).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن عن هشام بن عامر ـ صحيح الجامع (٥٥٨٨).

(٢) رواه أحمد فى مسنده عن هشام بن عامر بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخارى والنسائى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٢٩٤).

(٤) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى عن أبى الدرداء ـ صحيح الجامع (٦٢٠١).

(٥) أخرجه الترمذى برقم (٢٨٨٦)، عن أبى الدرداء وقال: هذا حديث حسن صحيح، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٧٦٥).

فمن قدّر الله له أن يرى الدجال فليتفل فى وجهه «كأنه خِنْزَب شيطان الصلاة» وليقرأ عليه فواتح سورة الكهف أو خواتيمها فيُعصم بإذن الله.

٣- من سمع بظهور الدجال لجأ إلى المدينة أو مكة فإن الدجال لا يدخل واحدة منهما.

يقول ﷺ : «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافّين تحرسها فينزل بالسِّبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»(١).

٤- من عجز عن كل ما سبق يفر من أمام الدجال فإنه لا يضره مع لزوم الذكر والدعاء.

والخلاصة يا أخى الحبيب أنك لا بد أن تعتصم بحبل الله وأن تلازم سنة رسول الله ﷺ وأن تكثر من قراءة القرآن والأذكار الواردة عن النبى ﷺ وتكون فى طاعة دائمة لله جل وعلا فإن البشائر تدل على قُرب علامات الساعة الكبرى فاحذر أن تأتى عليك تلك العلامات وأنت على غير طاعة الله فإن التوبة لا تُقبل إذا ظهرت بعض علامات الساعة الكبرى ألا وهى طلوع الشمس من المغرب، كما ورد فى حديث المصطفى ﷺ .

فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاثٌ إذا خرجن **﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً﴾** طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض»(٢).

أبو بكر الصديق ومنزلته عند الله ورسوله ﷺ :

وللصدّيق منزلة عظيمة عند الله وعند رسول الله ﷺ فهو أول من أسلم من الرجال، فصدّق النبى من أول وهلة بلا تردد ولا تلعثم ولسان حاله ومقاله ما جرّبت عليك كذباً قط.

(١) متفق عليه عن أنس ــ صحيح الجامع (٥٤٣٠).

(٢) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٠٢٣).

ولما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبى بكر فقالوا له إن صاحبك يزعم أنه أُسرى به إلى المسجد الأقصى فى الليلة الماضية ونحن نقطع أكباد الإبل إليها فى شهر كامل، فقال أبو بكر: إن كان قال فقد صدق.

وفى رواية: وبادر الصديّق إلى التصديق وقال: إنى لأصدّقه فى خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدّقه فى بيت المقدس؟!(١) .

ولذلك يُقال إن أبا بكر سُمى صدّيقاً من حادثة الإسراء والمعراج؛ لأن النبى ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل إن قومى لا يصدقونى فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصدّيق(٢) .

قال ﷺ : «أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى الباب الذى تدخل منه أمتى، فقال أبو بكر: وددت يا رسول الله أنى معك حتى أنظر إليه. فقال ﷺ : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى»(٣) .

وقال ﷺ : «إن أمنّ الناس علىَّ فى ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام لا يبقّين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر»(٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه ادعى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنى أخاف أن يتمنَّى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولَى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(٥) .

ولو أردنا أن نتحدث عن فضائل أبى بكر الصديق ما استطعنا أن نعطيه حقه، ويكفيه شرفاً أنه من أوائل العشرة المبشرين بالجنة، بل وقبل كل ذلك يكفيه والله شرفاً صحبة الحبيب ﷺ تلك الصحبة التى لايعدلها متاع فى الدنيا بأكملها، والتى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٠٨).

(٢) التبصرة (١/ ٣٣٨ ـ ٤٠٢).

(٣) رواه أحمد فى الفضائل وأخرجه أبو داود والحاكم وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٥).

(٤) رواه مسلم والترمذى عن أبى سعيد ـ صحيح الجامع (٢٠٠٧).

(٥) رواه مسلم وأحمد عن عائشة ـ صحيح الجامع (٢٤٧).

حُرمناها فى الدنيا ولكنّا نسأل الله ونتضرع إليه أنه كما حُرمنا صحبة النبى ﷺ فى الدنيا ألا يحرمنا صحبته فى الجنة.

- قال المفسرون فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾

قالوا نزلت الآيات فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالاً وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده فنزلت ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾(١)

- بل قال الله عن أبى بكر: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ (الزمر: ٣٣).

ففى أحد التفسيرات أن الذى جاء بالصدق هو النبى ﷺ، والذى صدّق به هو أبو بكر رضى الله عنه.

- بل لقد أثبت الله معيته للنبى ولأبى بكر معه، فكان ثالثهما الرحمن كما جاء فى الآية: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

وكـذلك جاء فى الحديث أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار فقلت يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»(٢).

وقال ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال: فهل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله»(٣).

---

(١) صفوة التفاسير، مجـ ٣، صـ ٥٧٠.

(٢) متفق عليه عن أبى بكر ــ صحيح الجامع (٧٨١٤).

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة وأخرجه ابن راهويه عن عائشة بإسناد صحيح على شرط الشيخين، صحيح الجامع (٥٨٠٨)، الصحيحة (٢٧١٨).

دعوة للصدق

يا مَن آمنت ورضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً استمع لتلك الوصية من خير خلق الله محمد ﷺ حيث يقول:

«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١).

بل يقول أيضاً محفزاً وموضحاً لقيمة الصدق ومنزلة الصادقين فى الجنة.

«أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقّاً وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»(٢).

بل يأتى الأمر من الله عز وجل بنداءٍ يقرع سمع كل مؤمن فيسمعه بأُذن قلبه.

يقول الله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾

(التوبة: ١١٩)

إنه نداء عظيم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

يقول أحد السلف الصالح إذا سمعت هذا النداء: «يا أيها الذين آمنوا» فأصغِ له سمعك فإنه خيرٌ ستُؤمر به أو شر ستُنهَى عنه.

﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ إنها دعوة من فاطر السماوات والأرض بأن نراقب الله فى جميع أقوالنا وأفعالنا وسكناتنا وحركاتنا وأن نكون مع أهل الصدق واليقين الذين صدقوا مع الله وأخلصوا النية لله جل وعلا.

ولقد جاءت تلك الآية العظيمة بعد ذكر تلك التوبة الصادقة من صحابة النبى ﷺ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم «كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع»(٣)، فلما ضاقت عليهم الأرض مع سعتها وضاقت عليهم أنفسهم بما اعتراها

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود - باب فى الصدق والكذب - صحيح الجامع (٤٠٧١).

(٢) رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) حديث كعب بن مالك، متفق عليه، أخرجه البخارى برقم (٤٤١٨)، ومسلم فى كتاب التوبة، رقم (٢٧٦٩/ ٥٣).

من الغم والهم بحيث لا يسعها أُنسٌ ولا سرور وذلك بسبب أن النبى ﷺ دعا لمقاطعتهم فكان أحدهم يُفشى السلام لأقرب أقربائه فلا يرد عليه وهجرتهم نساؤهم وأهلوهم حتى أيقنوا أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه **﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾** ، أى وفقهم للتوبة برجوعهم وإنابتهم لله جل وعلا، فلما ذكر الله جل وعلا صدق توبتهم ساق إلينا تلك الدعوة المباركة لنواكب أهل الصدق فى مواكب الصادقين ولنعلم أن القصص القرآنى لم يكن الغرض من ورائه إدخال السرور على مَن أراد أن يتسلى وإنما لنأخذ منه العبرة والعظة ولنسلك ما سلك أولئك الصادقون.

فهيا بنا يا إخوانى لنطوف سوياً فى بساتين الصادقين اليانعة نقطف من ثمارها ونشم عبيرها الطيب فنزرع ما زرعوا لنحصد ما حصدوا، بعد أن نتخذ الصدق شعاراً فى كل معاملاتنا وأقوالنا وأفعالنا فإن الإسلام والله يا إخوانى فى أشد الحاجة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية.

واعلموا جميعاً أنه ما دخل الناس فى عهد الصحابة رضى الله عنهم فى الإسلام إلا حينما وجدوا الصدق ينبع من قلوب الصحابة ويظهر على الجوارح فعلم الناس أن هؤلاء إن كانوا قد تركوا الكذب على المخلوق فكيف يكذبون على الخالق جل وعلا، فدخلوا فى دين الله أفواجاً.

أما اليوم فإن الكثير من أهل الكتاب حينما رأوا المسلمين يكذبون على الخلق علموا وتيقنوا أنهم يكذبون على الخالق جل وعلا فلم يرغبوا فى الإسلام لأنهم حكموا على الإسلام من خلال أهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ولذا فالصدق مع الله ومع الخلق فرض عَين على كل مسلم حتى تأتى النصرة من عند الحق تبارك وتعالى وحتى يشعر الناس بقيمة هذا الدين العظيم الذى قال عنه الخالق جل وعلا **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾** (المائدة: ٣).

- فإن كان الله رضى لنا الإسلام ديناً وهو دينٌ يحض على مكارم الأخلاق ومن المعلوم أن الصدق من أعظم وأجلّ الصفات الطيبة التى يجب أن يتحلى بها المسلم، فلماذا لا نصدق مع الله؟!!.

صدقوا ما عاهدوا

حينما نقرأ تلك الآية العظيمة التى يقول فيهاالحق تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(الأحزاب: ٢٣). تعلم أن هذا هو كمال الاصطفاء، فإن الله اصطفى المسلمين من بين عامة البشر، واصطفى المؤمنين من بين المسلمين ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾(الحجرات: ١٤).

ثم إن الله اصطفى من المؤمنين رجالاً واصطفى من الرجال المؤمنين نخبة من الصادقين وأعلى تلك الدرجات هى الصدق مع الله وبذلك تتحقق صفة العبودية لله جل وعلا؛ لأن الصدق مع الله باب من أعظم أبواب العبودية.

- يقول «أنس بن مالك» غاب عمى «أنس بن النضر» عن قتال يوم بدر فقال غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعنى المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس ابن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه - رؤوس الأصابع - قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا....﴾ نزلت فيه وفى أصحابه[1].

- وفى رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبى ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار فى نفوس كثير من أصحاب النبى فتوقف منهم مَن توقف عن القتال وألقى

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ٢٠/ ٨٥ وأسباب النزول للواحدى ١٣٧، والحديث متفق عليه عن أنس، أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٧)، ورواه مسلم، باب فى قوله تعالى ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، كتاب الجهاد.

أسلحته مستكيناً ومر بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس واها لريح الجنة يا سعد إنى أجده دون أُحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم[١].

* الصدق ومعجزاته مع أصحاب النبى ﷺ :

إن الله عز وجل قد خلق الكون كله وسخره للإنسان.... قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: ٢٠)، وخلق الإنسان من أجل غاية واحدة أخبر عنها فى كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ (الذاريات: ٥٦).

والكون كله يسير فى طاعة الله، فالجبال تُسبّح والبحار تُسبّح والطيورُ تسبّح بحمد الله.... وتعرف خالقها حق المعرفة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾ (النور: ٤١).

بل إن الكون كله يسجد لله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾ (الحج: ١٨).

بل إن الظل يسجد لله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ

(١) أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٨) ومسلم فى كتاب الإمارة رقم (١٩٠٣/ ١٤٨).

وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) ﴾ (النحل: ٤٨، ٤٩).

فبعد كل هذا لا بد أن تعرف أنك إذا أطعت الله جل وعلا فحقٌ على الكون أن يطيعك بإذن الله، فكل الكائنات تشعر بانقيادك لله وكذلك فهى تشعر بمعصيتك لله.

انظر كيف سخر الله الجبال والطير لنبى الله داود عليه السلام: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

وانظر لنبى الله سليمان ماذاقال الله عنه: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) ﴾ (الأنبياء: ٨١، ٨٢).

بل يزداد الأمر وضوحاً عندما تسمع لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ (سبأ: ١٠ - ١٣).

فالجبال تُسبّح والكون كله يُسبّح لله ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١).

- يقول ابن كثير فى تفسيره لسورة القصص: «وقد ذُكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبى الله عليه السلام واختُلف فى سببه.

فعن ابن عباس والسدى أن قارون أعطى بغياً مالاً على أن تتهم موسى عليه السلام بنفسها، ففعلت، فأرعد موسى من الفَرق، ثم أقبل عليها بعد أن صلى ركعتين وناشدها الله أن تقول الحق، فقالت: إن قارون حملها على ذلك وقالت أستغفر الله وأتوب إليه فخرَّ موسى ساجداً لله وسأل الله فى قارون، فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك: **﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾** أى ما أغنى عنه مالُه ولا جَمْعُه ولا خدمه ولا حشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو

منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره.

وهذا نبى الله نوح عليه السلام لما دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى عبادة الله عز وجل فلم يؤمن بالله إلا القليل.

قال نوح عليه السلام: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠﴾ (القمر: ١٠)، فكانت النتيجة: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ (القمر: ١١ - ١٤)

وهذا نبى الله إبراهيم عليه السلام لما أُلقى فى النار أمرها الحق تبارك وتعالى وقال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾ (الأنبياء: ٦٩).

وهذا الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفساً وأراد التوبة والرجوع للحق تبارك وتعالى ثم مات فى منتصف الطريق فما كان من الله جل وعلا إلا أن أرسل له ملكاً فى صورة بشر ليحكم بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال لهم: «قيسوا بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

وفى رواية: أن الله أمر هذه (الأرض) أن تباعدى، وأمر هذه (الأرض) أن تقاربى، وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له[1].

فمن تأمل تلك القصة يعلم أن الله سخّر الأرض بكل ما عليها من أشجار وأنهار وجبال أن تتفاعل مع توبة هذا الرجل وتتحرك من أجله فكيف لو تاب المسلمون جميعاً!!!

ولو استطردنا فى الأمثلة لرأينا عجباً ولكنا نريد أن نرى ونسمع ونعقل كيف أن الله سخر الكون كله لأصحاب النبى ﷺ لما صدقوا مع الله عز وجل.

---

(١) متفق عليه عن أبى سعيد بطرف «كان فى بنى إسرائيل...» وفى صحيح الجامع (٢٠٧٦)، وأخرجه مسلم بطرف «إن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفسًا...».

فها هو جيل الصحابة رضى الله عنهم لما علموا نعمة العبودية لله جل وعلا قاموا جميعاً ولسان حال كل واحد منهم ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (طه: ٨٤)، فانـادوا لله واستلموا للواحد الديان وقد وضعوا نُصب أعينهم قول الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

فما كان من الكون إلا أن انقاد لهم، فها هى الملائكة تحارب مع النبى ﷺ وأصحابه فى غزوة بدر.

يقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها إلى ظهورهم ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة يوماً إلا يوم بدر وإنما كانوا يكثرون عدداً ومدداً لا يضربون[1].

يا سارية الجبل

بل تأمل معى تلك القصة:

يقول ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب إنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض فى خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض فقال لهم (علىٌّ) رضى الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال: وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه، قال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم. قال فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا[2].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل.. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ٨٣) رواه الطبرانى وفيه عمار ابن أبى مالك، ضعفه الأزدى، وذكره ابن كثير فى تفسيره من رواية ابن إسحق.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل، وفى الإصابة ج٢، ص٣، ورواه ابن مردويه، وقال الألبانى فى الصحيحة (١١١٠): أخرجه أبو بكر خلاد فى الفوائد عن نافع أن عمر بعث سرية فاستعمل عليهم سارية، فبينما عمر يخطب الجمعة فذكره، فوجدوا سارية قد أغار إلى الجبل فى تلك الساعة وبينهما مسيرة شهر ـ ورواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين الصوفية.. والبيهقى فى الدلائل (وابن عساكر والضياء فى المنتقى عن ابن عمر)، وذكره ابن كثير فى البداية (٧/ ١٣١) من قول عبد الله ابن وهب بإسناد جيد حسن، فالقصة صحيحة ثابتة وهى كرامة أكرم الله بها عمر حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو القتل.

بل لقد كان الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ وكان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل كما أورد ذلك الإمام البخارى[(١)].

حتى إن النبى ﷺ كان يقول إنى لأعرف شجرة بمكة كانت تسلّم علىَّ قبل البعثة (أى تقول له السلام عليك يا رسول الله).

وبكى جذع الشجرة لما تركه النبى ﷺ بعد أن كان يخطب عليه فى يوم الجمعة.

فعن جابر بن عبد الله أن رسـول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شـجرة أو نخلة فقالت امـرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ﷺ ألا نجعل لك منبراً؟ قال إن شـئتم. فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبـر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبى الذى يسكن. قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها[(٢)].

وعنده أيضـاً عنه من طـريق آخر: فلما صُنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها فسـكنت.

وهذا سـفينة (مولى رسول الله) ﷺ قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتى التى كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها فطرحنى اللوح فى أجمّه فيها الأسـد، فأقبل إلىَّ يريدنى، فقلت: يا أبا الحارث (كنية الأسد) أنا مولى رول الله ﷺ فطأطأ رأسـه وأقبل إلىَّ فدفعنى بمنكبه حتى أخرجنى من الأجمـه ووضعنى على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعنى فكان ذلك آخر عهدى به[(٣)].

وتأمل معى يا أخى تلك القصة لتعلم أنه من أطاع الله طوَّع الله له الكون كله.

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥٧٢ ـ ٣٥٧٥) عن أنس (٣٥٧٦) عن جابر (٣٥٧٩) عن ابن مسعود وفيه (وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل).

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٨٣) عن ابن عمر (٣٥٨٤) عن جابر (٣٥٨٥) عنه بلفظ فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار.

(٣) أخرجه الحاكم عن محمد بن المنكدر، وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير، ق١، ج٢، ص١٧٩. وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٦) رواه البزار والطبرانى ورجالهما وثقوا.

من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر

لما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر أتى أهلها إليه حين دخل بؤنه (من أشهُر العجم) فقالوا له أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا تجرى إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكرٍ بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها شيئاً من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام، فإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤنه وأبيب ومسرى لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى همّوا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبت، إن الإسلام يهدم ما قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى، فلما قدم الكتاب على عمرو وفتح البطاقة فإذا فيها: «مِن عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر: أما بعد: فإن كنت تجرى من قِبلك فلا تجر وإن كان الواحد القهار يُجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجرُيك»، فألقى عمرو البطاقة فى النيل، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء وللخروج منها لأنهم لايقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً وقطع تلك السُنة السوء عن أهل مصر[1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما بعث النبى ﷺ العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه إلى البحرين تبعته فرأيت منه خصالاً ثلاثة لا أدرى أيتهن أعجب: انتهينا إلى شاطىء البحر، فقال: سمّوا الله واقتحموا فسمّينا واقتحمنا فعبرنا وما بَلّ الماء أسفل خفاف إبلنا، فلما قفلنا سرنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه، فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا ومات فدفناه فى الرمل فلما سرنا غير بعيد، قلنا يجىء سبع فيأكله فرجعنا إليه فلم نره. يعنى فى القبر[2].

فوالله لولا خشية الإطالة لرأينا العَجب العُجاب مما حدث لأصحاب النبى ﷺ فهم خير مَن عَبَد الله بعد الأنبياء عليهم السلام.

(١) أخرجه ابن عساكر عن قيس بن الحجاج.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل.

ومن هنا نعلم علم اليقين أن الكون كله خاضع لجبروت الله مُسبّحٌ بحمد الله ساجدٌ لله جل وعلا فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة الله ومن أراد الآخرة فعليه بطاعة الله فهؤلاء أصحاب النبى ﷺ لما أطاعوا الله طوّع الله لهم كل شىء، وأما نحن لما خرجنا عن الجادّة ولجأنا لغيرالله وذهبنا نتخبط فى ظلمات الغىّ والضلال أصبح الكون يسير فى اتجاه ونحن فى اتجاه مضادٍ له فرأينا الأزمات والنكبات وظهرت الزلازل والبراكين وذهبت البركة من الأرض وكل هذا بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير.

ولذلك فإن النبى ﷺ يخبرنا بأنه عند نزول عيسى عليه السلام مرة أخرى (وهذا من علامات الساعة الكبرى) عندها سيعيش الناس فى ظل الإسلام قلباً وقالباً، فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها والسماء أن تُنزل بركتها حتى يفيض المال ولا يجد من يأخذه. ولذا يقول ﷺ:

«والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»(١).

حتى إنهم عندما يقاتلون اليهود يجرى اليهودى فيختبىء وراء الشجر والحجر فيُنطق الله الشجر والحجر، فينادى ويقول: يا مسلم يا عبد الله خلفى يهودى تعال فاقتله.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(٢).

فهل نعى هذا الدرس

هكذا يتفاعل الشجر والحجر مع المسلم الذى يحقق العبودية لرب الشجر والحجر والسماوات والأرض.

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة، ورواه أحمد والترمذى وابن ماجة ـ صحيح الجامع (٧٠٧٧).

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة، باب فى قتال اليهود، كتاب الفتن ـ صحيح الجامع (٧٤٢٧).

فهل نعى هذا الدرس جيداً فنرجع إلى الله وننقاد إليه بكل جوارحنا وجوانحنا وسكناتنا وحركاتنا فنقوم جميعاً ولسان حال كل واحدٍ منا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)﴾ (طه: ٨٤)، فنبرأ من كل حَولٍ غير حول الله ونقول: «اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا فى طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين، فنسعى جميعاً لمرضاة الله فينصلح الحال»، كما قال الحق جل وعلا:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦). . . . فلنسرع بالتوبة إلى الله تعالى امتثالاً لقوله عز وجل:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ (آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦).

والله إننا فى أشد الحاجة إلى أن نُسرع الخُطا لمرضاة الله عز وجل حتى إذا ما رفعنا أكُفَّ الضراعة إلى الله جل وعلا تُستجاب دعوتنا وتُكشف كربتنا.

فأين هذا الصنف من الناس الذى إذا أقسم على الله أبرّ قسمه كما أخبر بذلك النبى ﷺ.

«رُبَّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»(١).

وفى رواية أخرى لمسلم:

عن حارثة بن وهب أنه سمع النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا:

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٤٨٤).

بلى. قال: «كل ضعيفٍ متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه» ثم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كل عُتُلٍّ جوّاظٍ مُستكبرٍ»(١).

والله إننا فى حاجة لأن نرى هذا الصنف من الناس الذى إذا رفع يديه إلى السماء وقال يا رب رفع الله بدعائه البلاء عن أمة الإسلام، فها هو قتيبة بن مسلم عندما ذهب لفتح مدينة كابول فاستعصت عليه،فقال لجنوده التمسوا محمد بن واسع، فذهبوا إليه فوجدوه رافعاً يديه إلى السماء يدعو بالنصر للمسلمين، فعادوا إلى قتيبة وأخبروه بالخبر، فقال: أبشروا بالنصر - فوالله لأصبُعَى محمد بن واسع وهى تشير إلى السماء أحب إلَىَّ من مائة ألف سيفٍ شهير ومن مائة ألف شابٍ طرير.

- فهيا يا أخى نبدأ من اليوم ونُصلح ما بيننا وبين الله جل وعلا عسى الله أن يرزق هذه الأمة برجلٍ صالحٍ يوحّد صفوف الأمة ويُعيد المجد للإسلام والمسلمين بإذن الله جل وعلا.

الكذب الأبيض!!!!

إن من المخالفات الشرعية الشائعة بين الكثير من بنى جلدتنا ما يُسمى بالكذب الأبيض!!

فيأتى الرجل فيكذب على إخوانه وعلى أقاربه، ثم إذا سألته عما قال - تأتيك الإجابة الحاسمة فى التو واللحظة فيقول لك: هذا كذبٌ أبيض!!.

وما علم هذا المسكين أنه ليس هناك كذب أبيض وكذب أسود، وإنما هناك كذب وهناك صدق، وإن الإنسان إما أن يُكتب عند الله صديقاً، وإما أن يكتب عند الله كذاباً.

ومن أجل ذلك لا بد أن تعلم أيها الأخ الكريم أن الإسلام دين يحث على مكارم الأخلاق وعلى رأسها الصدق لأن الصدق كما أخبر النبى ﷺ يهدى إلى البر والبر هو جِماع أعمال الطاعة والخير ولو علم النبى ﷺ طريقاً يوصل إلى البر غير الصدق لدلنا عليه ولذلك فإن الله عز وجل يحثنا جميعاً على أن نكون مع الصادقين فيقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: ١١٩)

---

(١) رواه مسلم، باب فى أهل الجنة وأهل النار وعلاماتهم فى الدنيا، كتاب صفة القيامة.

بل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٨)

- ولا بد أن تعلم أيها الأخ الكريم أن هذا الكذب الأبيض ما هو إلا من تزيين الشيطان، ولذا يقول الحق جل وعلا: ﴿ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) ﴾ (البقرة: ٤٢).

- ومن أجل ذلك أفردت فى الصفحات القادمة أنواع الكذب التى أباحها الإسلام وهى ثلاثة، وهى لا تتعدى أن تكون من المعاريض، ولكن قبل أن نترك الكلام عن مرض الكذب الأبيض لا بد أن نستشعر عاقبة الكذب والكاذبين من خلال حديث النبى ﷺ.

«فعن سمرة بن جندب رضى الله عنه (فى جزء من حديث طويل) قال: قال رسول الله ﷺ: «فانطلقنا فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلُّوب من حديد وإذا هو يأتى أحد شقَّى وجهه فيشرشر شِدقه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الأولى» قال: قلت: سبحان الله! ماهذان؟.

«وجاء الجواب فى آخر الحديث»

قال: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق(١).

- ألا يكفيك يا أخى أن تتأمل عذاب الكاذبين فى قبورهم والذى أخبرنا به النبى ﷺ فى الحديث السابق.

- يقول عمر بن عبد العزيز: ما كذبت منذ شددت علىَّ إزارى.

- ويقول مالك بن دينار: قرأت فى بعض الكتب أنه ما من خطيب إلا وتُعرض خطبته على عمله فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قُرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قُرضتا نبتتا.

(١) رواه البخارى ـ باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ـ كتاب التفسير.

- واعلم أن من أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، بل إنه من أبغض الأخلاق إلى النبى ﷺ .

ففى الحديث: «كان أبغض الخُلق إليه الكذب»[١] .

- فإن كان النبى ﷺ يبغض الكذب، ألا يجدر بنا أن نترك الكذب وقد أمرنا الله أن نتأسى ونقتدى بالنبى ﷺ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (٢١) ﴾ (الأحزاب: ٢١).

الكذب المباح والصدق المذموم!!!!

أما عن الكذب المباح فالإسلام لم يرخِّص فى الكذب إلا فى ثلاث أحوال وماسوى ذلك فهو كذب وإن سماه الناس كذباً أبيضاً.

أما عن الثلاث أحوال التى رخَّص الإسلام فيها بالكذب فقد أخبر عنها النبى ﷺ فى هذا الحديث.

- فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وكانت من المهاجرات الأُوَّل اللاتى بايعن النبى ﷺ أنها سمعت رسول الله وهو يقول: «ليس الكذاب بالذى يُصلح بين الناس فينمى خيراً ويقول خيراً»[٢] .

قال ابن شهاب ولم أسمع يُرخَّص فى شىء مما يقول الناس كذب إلا فى ثلاث! الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

وفى رواية قالت: ولم أسمعه يرخِّص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث[٣] .

- بل وتأمل معى ما فعله نبى الله سليمان عليه السلام لكى يُظهر الحق فى قضية من القضايا (ولقد ذكرها الإمام ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية) وهى أن امرأتين ارتفعتا إلى نبى الله داود عليه السلام إدعتا ولداً معهما فحكم به داود عليه السلام للكبرى، فقال سليمان ائتونى بالسكين أشقه بينكما، فسمعت الكبرى بذلك وقالت الصغرى لا تفعل رحمك الله. هو ابنها، فقضى به للصغرى.

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة، ورواه أحمد وابن سعد ـ صحيح الجامع (٤٦١٨).

(٢) متفق عليه عن أم كلثوم بنت عقبة ـ صحيح الجامع (٥٣٧٩).

(٣) متفق عليه، وهذه رواية مسلم باب ما يجوز فيه الكذب... كتاب البر والصلة، صحيح الجامع (٥٣٧٩).

قال فى الطرق الحكمية : فأى شىء أحسن من اعتبار هذه القرينة الظاهرة، فاستدل برضى الكبرى بذلك وأنها قصدت الاسترواح إلى التأسى بمساواة الصغرى فى فقد ولدها وشفقة الصغرى عليه وامتناعها من الرضى بذلك دَلّ على أنها هى أمه وأن الحامل لها على الامتناع هو ما قام بقلبها من الرحمة التى وضعها الله فى قلب الأم، وهذا هو لفظة الحديث:

قال ﷺ: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه بذلك، فقال: ائتونى بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (١).

- وأما عن الصدق المذموم فهو الغيبة والنميمة بين الناس.

أما عن الغيبة، فيقول عنها الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

(الحجرات: ١٢)

- ولقد وضحها النبى ﷺ فى هذا الحديث:

- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه» (٢).

- وذلك لأن الإسلام يريد لنا سلامة الصدور ويريد أن يجتمع المسلمون على المحبة والألفة والمودة، ولذا فقد حرّم الإسلام دم المسلم وعرضه وماله.

- قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (٣).

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة، صحيح الجامع (٤٤٦٥) بطرف «كانت امرأتان معهما ابناهما...».

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذى عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٨٦).

(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة ــ صحيح الجامع (٤٥٠٩).

- وتأمل أيها الأخ الكريم لهذا الحديث الذى تتفطَّر منه القلوب الحية المؤمنة.

- فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»(١).

- فهل هناك وعيدٌ أشد من هذا الوعيد؟!.

- فيا من تريد النجاة اعلم بأن النجاة هى ما أخبر عنها النبى ﷺ عندما سأله عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»(٢).

- ولذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يُمسك بلسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد - ومن أجل ذلك لا بد أن نُمسك بهذا الوحش الكاسر الذى إن أطلقنا له العنان أردانا فى نار جهنم وإن أمسكنا بلجامه كُتبت لنا السلامة.

مباحات الغيبة

- ولعل سائل يسأل: هل الغيبة محرمةٌ على إطلاقها؟.

والجواب عن ذلك: أن العلماء قد أباحوا أنواعاً من الغيبة إذا كانت لغرضٍ شرعى صحيح لا يمكن الوصول إليه إلا بها وقد حددوها فى ستة أسباب.

١- التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضى وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمنى فلان بكذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر وردِّ العاصى إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتى ظلمنى أبى أو أخى أو زوجى أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقى فى الخلاص منه وتحصيل حقى ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول فى رجلٍ أو شخصٍ أو

(١) رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣) بطرف «لما عرج بى ربى...».

(٢) رواه الترمذى عن عقبة بن عامر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩٢).

زوج كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث (هند) إن شاء الله.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجلٌ شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم؟ قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (١).

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجبٌ للحاجة.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك أو مجاورته، ويجب على المشاوَر أن لا يُخفي حاله بل يذكر المساوىء التي فيه بنية النصيحة.

ـ فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: - في جزء من حديث طويل - فلما حللت ذكرت له - أي للنبي ﷺ - أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له» (٢).

وفي رواية لمسلم: «وأما أبو جهم فرجل ضرّاب للنساء».

ومنها (أي من مباحات الغيبة) إذا رأى متفقهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يُغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويُلبّس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة، فلا بد أن نفطن لذلك.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مغفّلاً ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولّي من يَصلُح أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى

---

(١) متفق عليه، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة ـ صحيح الجامع (٣٢٢١).

(٢) متفق عليه، ومعنى لا يضع العصا عن عاتقه أي يضرب النساء كثيرًا، وقيل معناه كثير الأسفار، وهذه رواية مسلم في كتاب الطلاق.

فى أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

٥- أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلماً وتولى الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

٦- التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقبٍ كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقّص ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى[1].

- وأما عن النميمة، فلقد حذّر النبى ﷺ منها تحذيراً شديداً لعظم ذنبها فاستمع لهذا الوعيد.

- قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[2].

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان ومايعذبان فى كبير! بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»[3].

- فالنميمة سبب من أسباب عذاب القبر وسبب من أسباب حرمان العبد من دخول الجنة، فهل بعد هذا الوعيد وعيد؟!.

* ما هو الدواء؟

- إذا كنا فيما مضى قد ذكرنا الداء ألا وهو الكذب والغيبة والنميمة فاعلم أيها المسلم أن الدواء قد جعله الله فى أشياء لا بد أن تحرص عليها لتنجو من هذا الداء العضال الذى فتك بالكثير من بنى جلدتنا.

١- التوبة النصوح:

بأن تندم على ما صدر منك من الكذب والغيبة والنميمة وتقلع عن الذنب وتعزم

(١) رياض الصالحين للإمام النووى، (ص ٤٤١، ٤٤٢).

(٢) متفق عليه عن حذيفة ـ السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٩) ـ ورواه مسلم بلفظ (لا يدخل الجنة قتات)، كتاب البر والصلاة ـ صحيح الجامع (٧٦٧٢).

(٣) متفق عليه وهذا لفظ إحدى روايات البخارى ـ صحيح الجامع (٢٤٤٠) بطرف (إنهما يعذبان...»

على عدم العودة إليه مرة أخرى.

وأمابالنسبة للغيبة فللتوبة منها أمران:

أولهما: أن تذهب لمن اغتبته وتتحلل منه ليسامحك وإن كنت تخشى أن يحدث ضرراً من وراء ذلك فعليك أن تذكره بأحسن ما فيه فى نفس المجالس التى اغتبته فيها وكذلك بأن تكثر من الاستغفار له ولكل إنسان ذكرته بسوءٍ.

وأما بالنسبة للنميمة فلا بد أن تُصلح ما أفسدته بين الناس وأن تُظهر لهم الحق وتطلب منهم الصفح والمسامحة قبل أن لا يكون درهم ولا دينار،وإنما التعامل يكون بالحسنات والسيئات.

٢- إخلاص التوحيد لله:

فإذا عرف قلبك التوحيد لله جل وعلا فسوف يمتلىء قلبك حباً لله وخوفاً منه، وعندها فإنك إن ذَلّت قدمك فعودتُك إلى الله سهلة ميسورة فالتوحيد هو الخطوة الأولى للبعد عن الباطل، وللسير على صراط الله المستقيم.

قال ﷺ: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»(١).

يقول أبو هريرة: إن القلب هو الملك والأعضاء هى الجنود والرعايا، فإذا صلح الملك صلحت الجنود والرعايا.

٣- ذكر الموت:

فمن تذكر الموت وعلم بأن الدنيا مهما طالت فهى قصيرة ومهما عَظُمت فهى حقيرة، فسوف يتوب فى التو واللحظة من الغيبة والنميمة والكذب لأنه سيدرك أنه مُقبل على الله لا محالة ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦)﴾ (الانشقاق: ٦)

- ولذا كان أحد السلف الصالح يقول: والله ما تكلمت بكلمة منذ أربعين سنة إلا

---

(١) متفق عليه عن النعمان بن بشير ـ صحيح الجامع (٣١٩٣) بطرف «الحلال بين والحرام بين...»، ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

وأعددت لها جواباً بين يدى الله.

- يقول ابن مسعود: والله ما على الأرض شيء أحوج إلى السجن من لسانى فقل خيراً تغنم أو اسكت عن شرٍ تسلم وإلا ستندم.

٤- قراءة القرآن وتدبره:

فتقرأ القرآن وتتدبر آياته وتقف عند الآيات التى تتحدث عن الجنة فترجو أن تكون من أهلها وتقف عند الآيات التى تتحدث عن النار فتسأل الله أن ينجيك منها، وهكذا فإن القرآن كما قال الله عنه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ (ق: ٣٧).

ومن خلال القصص القرآنى نتأمل فى قصص السعداء الذين وعدهم الله بالجنة والأشقياء الذين توعدهم الله بعذابه فيكون ذلك حادياً لك على السير فى طريق السعداء الذين أسعدهم الله بطاعته وعافاهم من معصيته.

٥- المحافظة على الصلوات.... والحرص على قيام الليل:

«وليسجد قلبك لله قبل أن يسجد بدنُك».

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

- واحرص ياأخى على قيام الليل واعلم أن شرف المؤمن فى قيام الليل كما قال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ:

- «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّهُ استغناؤه عن الناس»(١).

- بل قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»(٢).

- فيا أخى الحبيب، إن قيام الليل كما قال النبى ﷺ إنه دأب الصالحين، وهو أيضاً قربة لمن أراد أن يتقرب إلى الله وهو حاجز بينك وبين المعاصى وهو سبب لمغفرة

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان وأبو نعيم فى الحلية ــ صحيح الجامع (٧٣).

(٢) رواه الترمذى وأحمد والحاكم عن بلال، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

الذنوب وعامل أساسى لطرد الأمراض عن الجسد، فهل بعد ما سمعته عن قيام الليل تغفل عنه؟!!! نسأل الله أن يرزقنا قيام الليل.

٦- كثرة الصيام:

وبخاصة صيام ثلاثة أيام من كل شهر «الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فإنها تعينك على سلامة الصدر لإخوانك المؤمنين.

- يقول ﷺ : «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وحَرَ الصدر»(١) . . . ومعنى وحر الصدر: أى حقده وحسده.

- فكثرة صيام التطوع بعد رمضان يكون سبباً فى ذهاب وحَرَ الصدر، يعنى حقده وحسده فإذا ذهب الحقد والحسد فسوف يسلم صدرك لإخوانك، ولن تقع فى الغيبة أو النميمة. وإن وقعت فى شىء من ذلك فمن السهل اليسير أن ترجع وتتوب لأن القلب قد سَلِم من الحقد والحسد (وهذا سبب من أسباب دخول الجنة).

٧- البعد عن رفقة السوء:

إذا كنت فى قومٍ فاصحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فأصدقاء السوء لا يعينون إلا على معصية الله ولا يتكلمون إلا فى أعراض المسلمين بل ويدبرون المؤامرات للوقيعة بين الناس. أما إخوانك المؤمنون فإنهم لا يتكلمون إلا فى ذكر الله ولا يفكرون إلا فيما يعود بالنفع على المسلمين، وكم من الناس قد وقع فى حفرةٍ من حفر النار وكل ذلك بسبب رفقة السوء.

٨- أن تعلم أن النميمة سبب من أهم الأسباب التى تؤدى إلى عذاب القبر فتخشى على نفسك وتتوب إلى الله من السعى بين الناس بالنميمة.

وقد مرّعلينا قول النبى ﷺ : «إنهما يعذبان وما يُعذبان فى كبير! بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشى بين الناس بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»(٢).

---

(١) رواه البزار عن على وعن ابن عباس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٠٤).

(٢) سبق تخريجه.

٩- أن تستحضر مشاهد الآخرة من الحشر واستلام الصحف والوقوف بين يدى الله الذى سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة، وكذلك الصراط ثم المصير والمآل.

ونهاية المطاف، إما إلى الجنة أو إلى النار، فكلما أردت أن تكذب أو تخوض فى أعراض المسلمين تذكرت الجنة وما فيها والنظر إلى وجه الله عز وجل فتخشى الحرمان من كل هذا النعيم فتحبس لسانك عن الوقوع فى أعراض الناس.

١٠- أن تتذكر هذا المشهد الرهيب الذى رآه النبى ﷺ.

- فعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى ربى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»[١].

- فتخشى على نفسك أن تكون من هؤلاء المعذبين.

فلا تزكوا أنفسكم

إن المؤمن لا يرى من أخيه إلا الظاهر من أقواله وأعماله وأما البواطن والضمائر فلا يعلمها إلا الله، ولذا فإننا إذا رأينا رجلاً صالحاً فيما يبدو لنا فيجب علينا ألا نقطع له بأنه من الصالحين وبأنه من أهل الجنة بل نقول: نحسبه من الصالحين ولا نزكى على الله أحداً»[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢)﴾ (النجم: ٣٢).

ولعلكم تعلمون جميعًا قصة قزمان الذى ظن أصحاب النبى ﷺ أنه من أهل الجنة فأخبرهم النبى ﷺ أنه من أهل النار.

- وكم من المنافقين كان يصلى خلف النبى ﷺ بل كانوا يذهبون معه للجهاد فى سبيل الله حتى فضحهم الله فى غزوة تبوك.

- فعن زيد بن أسلم ومحمد بن وهب قال رجل من المنافقين فى غزوة تبوك ما

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) وهذا المعنى ثابت فى الحديث المتفق عليه عن أبى بكرة «ويلك! قطعت عنق صاحبك، من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه». صحيح الجامع (٧١٤٠).

رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء - يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه - فقال عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ .

فذهب عوف ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق - فنزل قول الله عز وجل: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾[١] (التوبة: ٦٥ ــ ٦٦).

- وروى الطبرى عن قتادة قال:

بينا رسول الله ﷺ يسير فى غزوته إلى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات!! فأطلع الله نبيه فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾[٢] (التوبة: ٦٥ ــ ٦٦).

فحكم الحق تبارك وتعالى عليهم بالكفر وهم الذين كانوا يصلّون خلف النبى ﷺ ويخرجون معه للجهاد!!.

- فخلاصة القول أننا لا ينبغى أن نزكى أحداً من البشر إلا من زكّاه الله جل وعلا فى كتابه أو زكّاه رسول الله فى سنته وما سوى ذلك فلا بد أن نمتثل قول الله عز وجل ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢)** ﴾ (النجم: ٣٢).

فلا نقول هذا شهيد وهذا رجل مخلص وهذا كذا...

بل نقول نحسبه شهيداً أونحسبه من الصالحين ولا نزكى على الله أحداً.

واسمع لما قاله النبى ﷺ :

---

(١) أسباب النزول للواحدى، (ص ١٨٨).

(٢) رواه الطبرى، أسباب النزول للواحدى، (ص ١٨٧، ١٨٨).

- يقول ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» (١).

- وعن أم العلاء الأنصارية كما أورد الإمام البخارى فى قصة مرض عثمان بن مظعون الذى مات فيه قالت رضى الله عنها فلما تُوفى وغُسّل وكُفّن فى أثوابه دخل رسول الله ﷺ، قالت: فقلت رحمة الله عليك أبا السائب - كنية عثمان - فشهادتى عليك لقد أكرمك الله. فقال لها النبى ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إنى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يُفعل بى، قالت أم العلاء: فوالله لا أزكى أحداً بعده أبداً.

- بل إنه عندما علم النبى ﷺ أسماء المنافقين وجعلها مع حذيفة رضى الله عنه قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه نشدتك بالله هل سمانى لك رسول الله منهم؟ قال لا، ولا أُزكى بعدك أحداً.

- يقول ابن أبى مليكة كما أورد الإمام البخارى: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وإسرافيل.

- وكان أحد السلف يقول والله لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحدكم أن يجلس بجوارى.

- هكذا كان حال سلفنا الكرام لا يزكون أنفسهم، بل كانوا يتهمون أنفسهم بالتقصير فى حق الله، أما نحن فمنّا والله من لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى، بل يعق الوالدين ويفعل الموبقات وهو يظن فى قرارة نفسه أنه من أهل الفردوس الأعلى وهذا هو الإرجاء الذى سرى فى الأمة المسلمة سريان السم فى العروق، فجعل الناس يرجون ما عند الله من الخير وهم لا يفعلون إلا ما يُبعدهم عن الله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- واستمع أيها الأخ الحبيب لتلك الموعظة لتعلم أنه لا ينبغى لمسلم أن يترك العمل والطاعة ثم يطمع فيما عند الله جل وعلا.

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد ـ وزاد البخارى فى روايته (وإنما الأعمال بخواتيمها).

- كان هناك رجل يملك مزرعة وكان عنده عبدٌ يزرع له تلك المزرعة، فقال له فى يوم من الأيام أريدك أن تزرع الأرض قمحاً فقام العبد وزرعها شعيراً، فلما حان وقت الحصاد جاء صاحب المزرعة وقال له ما هذا؟ ألم أقل لك ازرعها قمحاً فلِمَ زرعتها شعيراً؟!

قال له العبد: يا سيدى لقد رجوت من الشعير أن يُخرج قمحاً. فتعجب الرجل وقال يا أحمق أترجو من الشعير أن يُخرج قمحاً؟!.

قال له العبد: يا سيدى أفتعصى الله وترجو رحمته؟!!. أفتعصى الله وترجو جنته؟!!

فدُهش الرجل من هذه الكلمات وقال لقد تبت إلى الله جل وعلا وأنت حرٌ لوجه الله.

- هكذا أيها الأخ الكريم لا بد أن تزرع الخير والعمل الصالح لتجنى ثماره بعد موتك وعند لقاء ربك... فكيف بك لاتزرع وترجو أن تجد الحصاد بغير زرعٍ!!

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجرى على اليَبَس

تربية الأولاد على الصدق

لا بد على كل من أراد أن يربّى أولاده على الصدق أن يكون لهم قدوة صالحة فلا يكذب ثم يطلب منهم الصدق أو يترك الصلاة ثم يأمرهم بها.

وجدير بكل مسئول وبكل مربى ألا يكذب على أطفاله بحُجة إسكاتهم من بكاء أو ترغيبهم فى أمر أو تسكينهم من غضب، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عودّوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات وأرذل الأخلاق ألا وهى رذيلة الكذب... عدا عن أنهم يفقدون الثقة بأقوالهم ويضعف جانب التأثير بنصائحهم ومواعظهم.

لهذا كله نرى المربى الأول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قد حذّر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم ولو بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة حتى لا تكتب عند الله كذبه.

فقد روى أبو داود والبيهقى عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال: دعتنى أمى

يوماً ورسول الله ﷺ قاعدٌ فى بيتنا فقالت: ها تعال أعطك فقال لها: رسول الله ﷺ ما أردت أن تعطيه؟

قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتب عليك كذبة» (١).

وروى أحمد وابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لصبى هاك ثم لم يعطه فهى كذبة» (٢).

بركة الصدق

ومن طرائف ما يروى فى تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة: يقول الشيخ عبد القادر الكيلانى رحمه الله: «بنيت أمرى من حين ما نشأت على الصدق وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتنى أمى أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة وعاهدتنى على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا القافلة، فمرّ واحد منهم وقال لى: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، فظن أنى أهزأ به، فتركنى فرآنى رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته بما معى فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتنى أمى على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها!! فأخذت الخشيةُ رئيس اللصوص فصاح ومزّق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!! ثم أمر بردّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه أنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

- فلا بد أن يتعوّد الطفل على الصدق من صغره، فإنه إن لم ينشأ على الصدق من صغره، فإنه سيكون عنصراً فاسداً ومفسداً فى المجتمع.

وهذا الكذب سيفتح عليه أبواب البلاء كلها لأنه إذا كذب وتعود الكذب، فمن

(١) رواه أحمد وأبو داود، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣١٩).

(٢) رواه أحمد من رواية الزهرى عن أبى هريرة، ولم يسمعه منه، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٤٤)، وذكره الألبانى فى الصحيحة (٧٤٨) من رواية ابن وهب فى الجامع.

السهل اليسير أن يسرق، وإذا سُئل فليس عنده أيسر من أن يكذب ويدّعى أنه لم يسرق، ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم ينشأ على الأمانة وأداء الحقوق فإن الولد لا شك سيدرج على الغش والسرقة والخيانة وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع ويستعيذ من سوء فعاله الناس.

لهذا، كان لزاماً على الآباء والمربين أن يغرسوا فى نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله والخشية منه، وأن يعرِّفوهم بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن الكذب وتستفحل بسبب الغش والخيانة وأن يبصروهم بماذا أعد الله للمجرمين المنحرفين والكاذبين من مصيرٍ فاضح وعذاب أليم يوم القيامة.

ومن المؤلم أن يجد الولد من أحد أبويه من يدفعه إلى السرقة ويشجعه عليها، فإن ذلك ولاشك سيكون دافعاً له للتمادى فى الإجرام والانحراف واللصوصية.

وهل يُرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُدى الناقصات.

- حكمت إحدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع، فلما جاء وقت التنفيذ قال لهم بأعلى صوته: قبل أن تقطعوا يدى اقطعوا لسان أمى، فقد سرقت أول مرة فى حياتى بيضة من جيراننا، فلم تؤنبنى، ولم تطلب منى إرجاعها إلى الجيران، بل زغردت وقالت: الحمد لله، لقد أصبح ابنى رجلاً، فلولا لسان أمى الذى زغرد للجريمة لما كنت فى المجتمع سارقاً (١).

الصدق يجلب الخير للأمة

- وإليكم يا معشر الآباء والأمهات بعض النماذج فى استقامة أبناء السلف الصالح، وفى حرصهم على أداء الحقوق والتزامهم خلق الأمانة ومراقبتهم لله عز وجل فى المنقلب والمثوى والسر والعلانية.

- أصدر عمر رضى الله عنه قانوناً يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!.

القانون أعجز من هذا فإن عين الإنسان لها حدودٌ لا تتجاوزها أما عين الله فلا

(١) من كتاب أخلاقنا الاجتماعية للسباعى، (ص ١٦٢).

يُعجزها شيء. . فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذى يعمل عمله فى هذا المجال. .

- وهنا تُحكى القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعاً فى زيادة الربح والبنت المؤمنة تذكِّرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا فترد الإبنة بهذا الجواب الذى نبع من قلبٍ مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أميرالمؤمنين لايرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذى سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله عز وجل إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الإبنة فليتزوجها، فإنى لأرجو الله أن يُخرج من أصلابها رجلاً يوحد كلمة العرب والمسلمين،وكان الذى توقعه عمر رضى الله عنه، فقد تزوجها ابنه عاصم فأنجبت له بنتاً سموها ليلى وكنّوها بأم عاصم ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذى قاد المسلمين إلى كل خير، والذى حكم بالعدل فلم يظلم أحداً ونحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحداً، وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا.

وهكذا يجلب الصدق الخير للأمة.

- وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فانحدر بنا راعٍ من الجبل فقال له عمر ممتحناً له يا راعى الغنم بعنى شاةً من هذه الغنم، فقال إنى مملوك، فقال عمر، قل لسيدك: أكلها الذئب (يريد أن يختبره) فقال الراعى: فأين الله؟ فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تُعتقك فى الآخرة»[1].

علموا أولادكم الصدق والجرأة فى قولة الحق

- ولنعلم جميعاً أن الطفل فى غالب الأحوال لا ينشأ كاذباً إلا عندما يرى الوالدين يكذبان وبخاصة عند حضور ضيف لأحد الوالدين فيأتى الوالد ويقول للطفل اذهب فقل للضيف إن أبى غير موجود.

فيذهب الطفل بفطرته ويقول للضيف إن أبى يقول لك إنه غير موجود، وهكذا ينشأ الطفل بوجهين، وجه يَصْدُق عند الحاجة إلى الصدق ووجه يكذب فى أغلب الأحوال، فينشأ ضعيف الشخصية مهتز العقيدة ويكون ضرره على المجتمع أشد من

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام، (ج١، ص ١٨٤ ـ ١٨٨).

نفعه للمجتمع - فاحرصوا على الصدق مع أولادكم واحرصوا على صدق أولادكم حتى يكون الواحد منهم مُحبّاً للحق جريئاً فى قولة الحق.

- وهذا مثلٌ طيب أقصه عليكم عن الجرأة فى سبيل الحق.

رُوى أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزور أخاً له، وكان غلمان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهى يخرجون من داره، وكان يوم ضيافة الأمير، فلما رآهم الزاهد قال: (يا نفس وقع أمر إن سكتٍّ فأنت شريكه)، فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله وأخذ العصا فحمل عليهم جملة واحدة، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان وقصّوا على الأمير، فدعا به وقال له أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدى فى السجن؟

أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى فى النار؟

الأمير: من ولاك الحسبة؟[1].

أبو غياث: الذى ولآك الإمارة.

الأمير: ولانى الخليفة.

أبو غياث: ولانى الحسبة رب الخليفة.

الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند.

أبو غياث: عزلت نفسى عنها.

الأمير: العجب فى أمرك تحتسب حين لم تؤمر وتمتنع حيث تؤمر.

أبو غياث: لأنك إن وليتنى عزلتنى، وإذا ولانى ربى لم يعزلنى أحد.

الأمير: سل حاجتك.

أبو غياث: حاجتى أن ترد علىَّ شبابى.

الأمير: ليس ذلك إلىَّ. هل لك حاجة أخرى؟

أبو غياث: أن تكتب إلى مالك خازن النار أن لا يعذبنى.

---

(١) الحسبة هى وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الأمير: ليس لى ذلك أيضاً. هل لك حاجة أخرى؟

أبوغياث: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان أن يدخلنى الجنة.

الأمير: ليس ذلك إلىّ أيضاً.

أبو غياث: فإنها مع الرب الذى هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابنى إليها، فخلى الأمير سبيله (١).

الصدق منجاة

- قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (٢).

فاعلم أيها الأخ الحبيب أن الصدق منجاة، وأن الكذب مهلكة واستمع معى لهذا الحديث الذى يدلك على طريق النجاة.

- فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ: ما النجاة؟ قال: «املك عليك لسانك، وليسعك بيتُك، وابك على خطيئتك» (٣).

- فإن كان النبى ﷺ أخبر عقبة بن عامر أن أول سبل النجاة هو أن يمسك لسانه عن فضول الكلام فكيف بالكذب!.

- وبالطبع فإن قول النبى ﷺ: «أملك عليك لسانك» ليس المقصود منه الكذب، إذ لو كان ذلك لقال له لا تكذب، ولكنه أمره بأن لا يخوض فى مباح الكلام الذى هو من اللغو الذى لافائدة فيه فكيف بمن لا يكتفى بمجرد اللغو المباح، بل يتعدى إلى الكذب والبهتان والغيبة والنميمة.

- وقد يظن بعض الناس أن الكذب ينجِّى أحياناً وهذا ليس بصحيح فإن المسلم الذى يصدُق فى قوله وفعله إذا وقع فى مأزق فإن الله يجعل له مخرجاً، فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام، (ج١، ص ٤٧٧، ٤٧٨).

(٢) أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا فى الصمت، كذا فى الصحيحة (٢٨٤١). وقال: حسن.

(٣) سبق تخريجه.

- خطب الحجاج بن يوسف يوماً فأطال الخطبة فقال أحد الحاضرين: الصلاة! فإن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك، فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال الحجاج: إن أقر بالجنون خلصته من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لى أن أجحد نعمة الله التى أنعم بها علىَّ وأُثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهنى الله عنها، فلما رأى الحجاج صدقه خلّى سبيله(١).

- وخطب بلال لأخيه امرأة قرشية، فقال لأهلها نحن مَن قد عرفتم كنا عبدين، فأعتقنا الله تعالى، وأنا أخطب إليكم فلانة لأخى فإن تنكحوها له، فالحمد لله، وإن تردونا فالله أكبر، فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: بلالٌ ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ، فزوجوا أخاه فزوجوه، فلما انصرفوا قال له أخوه: يغفر الله لك ما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ وتترك ما عدا ذلك، فقال له بلال مه (أى كُفّ) يا أخى: صدقت فأنكحك الصدق.

- وفى قصة الثلاثة الذين خُلفِّوا، أنظر ماذا قال كعب بن مالك. قال: فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ، قال: وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: فقلت: أَمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: «لا بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يارسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقةً إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله: «أمسك بعض مالك فهو خير لك»، قال: فقلت: فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر، قال: وقلت: يارسول الله ﷺ إن الله إنما أنجانى بالصدق، وإن من توبتى أن لا أُحدِّث إلا صدقاً ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا أحسن مما أبلانى الله به، ووالله ما تعمّدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ حتى بلغ: ﴿**إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ**

---

(١) منهاج المسلم، (ص ١٤٥).

الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٧ ـ ١١٩).

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صِدقى رسول الله ﷺ أن لا أكون كَذَبْته فأهلك كما هلك الذين كذبوا(١).

- أرأيت يا أخى كيف أن الصدق كان سبباً فى توبة الله عليه من فوق سبع سماوات.

- حتى إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن توبته عليهم سبقت توبتهم إليه، وأنها هى التى جعلتهم تائبين، فقال سبحانه: **﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾** وكل ذلك لما رآه الله من صدق توبتهم.

- ولقد أسلفنا فيما مضى قصة العالم عبد القادر الكيلانى وقصة الراعى الذى لقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقصة ابنة بائعة اللبن.

مظاهر الصدق

هذا وللصدق مظاهر يتجلى فيها منها:

١- فى صدق الحديث:

فالمسلم إذا حدّث لا يحدّث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يُخبر بغير ما هو واقع فى نفس الأمر، إذ أن كذب الحديث من النفاق وآياته (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)(٢) .

٢- صدق العزم:

فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغى فعله لايتردد فى ذلك بل يمضى فى عمله غير ملتفت إلى شىء أو مبالٍ بآخر حتى ينجز عمله.

---

(١) متفق عليه، وهذه رواية مسلم ـ باب فى الصدق والتوبة، كتاب التوبة وقبولها وسعة رحمة الله.

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٦)، ورواه الترمذى والنسائى.

٣- صدق المعاملة:

فالمسلم إذا عامل أحداً صَدَقه فى معاملته،فلا يغش ولايخدع ولا يزوّر ولا يغرر بحال من الأحوال.

٤- صدق الوعد:

فالمسلم إذا وعد أحداً أنجز له ما وعده به، إذ أن خلف الوعد من آيات النفاق.

٥- صدق الحال:

فالمسلم لا يظهر فى غير مظهره ولا يُظهر خلاف ما يبطنه، فلا يلبس ثوب زور ولايُرائى ولا يتكلف ما ليس له لقول النبى ﷺ: «المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور»(١).

ومعنى هذا أن المتزين المتجمل بما لايملك ليرى أنه غنى يكون كمن يلبس ثوبين خَلِقين ليتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف.

بساتين الصادقين

من خلال تربية المصطفى ﷺ لأصحابه أصبح كل صحابى يمثل أمة بأكملها، بل لقد أصبح كل صحابى قرآناً يمشى بين الناس.

- لقد استنشقوا العبير الصادق من رسول الله ﷺ فخرجت ثمرات الصدق يانعة زكية يشم شذاها كل من قرأ سيرتهم.

- ووالله إنها لصفحاتٌ وصفحات يعجز القلم عن تصويرها،وإنى لأجد نفسى عاجزاً عن وصف هؤلاء الصَحب الكرام الذين ضحّوا بالغالى والنفيس من أجل مرضاة الحق تبارك وتعالى.

- هؤلاء هم الذين قال عنهم النبى ﷺ لما احتدم القتال يوم بدر: قال اللهم أنجز لى ما وعدتنى. اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد فى الأرض(٢).

---

(١) متفق عليه، عن أسماء بنت أبى بكر، وأخرجه مسلم عن عائشة، باب المتشبع بما لم يعط، كتاب اللباس والزينة ــ صحيح الجامع (٦٦٧٥)، ورواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه مسلم عن ابن عباس ــ باب فى الإمداد بالملائكة وفداء الأسارى ــ كتاب الهجرة والمغازى.

نعم فهم خير مَن عَبَدَ الله بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- قال ﷺ: «خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويَشهدون ولا يُستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»(١).

- فهم الجيل الذى شهد له النبى ﷺ بالخيرية وهو مَن هو؟ هو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى.

- وتأمل معى هذا المشهد العظيم عندما خرج النبى ﷺ ليحفِّز الصادقين على الثبات فى الجهاد فى غزوة بدر، فقال: «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

وقال وهو يحضهم على القتال: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

وحينئذ قال: (العمير بن الحمام) بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟» قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فأنت من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل(٢).

- ونُهدى تلك الكلمات إلى كل من يبنى ويشيِّد ويجمع ويمنع ويريد أن يمتلك الدنيا بمافيها ولا يهتم ولا يبالى من أين جمع هذا المال من الحلال أم من الحرام! نُهدى له كلمات العمير بن الحمام حينما قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة!!.

- بل يأتى عوف بن الحارث (ابن عفراء) فيقول: يا رسول الله ما يُضحك الرب من عبده؟ قال غَمْسُه يده فى العدو حاسراً، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل(٣).

- ولما كانت غزوة بدر جاء عكاشة بن محصن إلى النبى ﷺ وقد انكسر سيفه

---

(١)متفق عليه، عن عمران بن حصين ـ صحيح الجامع (٣٣١٧).

(٢)رواه مسلم عن أنس ـ باب فى غزوة بدر ـ كتاب الهجرة والمغازى.

(٣)أورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٢٧١) مختصراً.

وهو يريد أن يكمل القتال مع أنه كان من الممكن أن يترك القتال بحجة أن سيفه قد انكسر إلا أن صدقه مع الله وحرصه على الموت فى سبيل الله جعله يبحث عن سيف آخر فأعطاه النبى جذلاً من حطب فقال: قاتِل بهذا السيف ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه فعاد سيفاً فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى للمسلمين وكان ذلك السيف يُسمّى (العون)، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد حتى قُتل فى حروب الردة وهو عنده[1].

- فيا لها من مواقف لا تتكرر عبر التاريخ إلا قليلاً، ويا لها من بساتين مليئة بثمار الصدق والصادقين، ووالله لو استطردنا فى قصص الصدق والصادقين لما وسعنا آلاف المصنفات فى أن نتحدث عن هؤلاء الصادقين الذين زكّاهم الله فى كتابه وقال عنهم: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**

صدق الإيمان

إن صدق الإيمان يظهر واضحًا جليًا فى الصبر على المحن والابتلاءات.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

(العنكبوت: ١ ــ ٣)

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٩﴾ (آل عمران: ١٧٩).

وذلك التميز لا يكون إلا فى الابتلاء والامتحان الذى يفصل الصادقين عن الكاذبين.

ــ ولقد جاءت المواقف الإيمانية التى وقفها الصحابة رضى الله عنهم لتكون لنا كالشمس الساطعة فى دنيا الحقيقة... فنتعلم منها كيف يكون الإيمان الحقيقى الصادق فنسير على آثار خطواتهم إلى أن تكون خاتمة السعادة بمرافقتهم فى جنات النعيم،

(١) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٢٩٠).

فيكمل الله لنا النعمة بصحبة نبيه ﷺ ويسبغ علينا فضله ورحمته بالنظر إلى وجهه الكريم.

فهذا موقف من مواقف الإيمان الصادقة لجعفر بن أبى طالب الذى قال عنه الإمام الذهبى فى ترجمته: «السيد الشهيد الكبير الشأن علم المجاهدين أبو عبد الله عم رسول الله ﷺ»(١).

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس».

فمضوا إلى أرض البلقاء من أرض الشام حتى نزلوا معانا من أرض الشام، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة.

ثلاثة آلاف من الأبطال والشجعان، من حملة القرآن، أمام عبدة الصلبان، عليهم لعائن الرحمن، فى ذلك الزمان، وفى كل أوان.

فالتقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل.

اقتحم جعفر عن فرس له شقراء، ثم عقرها؛ فكان جعفر أول المسلمين عَقَرَ فى الإسلام، ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

علىّ إنْ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام :

وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفراً أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦) ترجمة جعفر بن أبى طالب.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»(١).

«وكان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»(٢).

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»(٣).

* وهذا حنظلة (غسِّيل الملائكة)، فعن يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن جده رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر...: «إن صاحبكم تغسله الملائكة»، فسألوا صاحبته، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»(٤).

الصدق فى مقامات الدين

إن الصدق فى مقامات الدين له صورٌ كثيرة ولكن سنكتفى بالحديث عن الصدق فى بعض المقامات:

١- الصدق فى التوحيد:

إننا إذا أردنا أن نتكلم عن الصدق فإننا نهدف فى المقام الأول أن يكون الصدق فى التوحيد قبل أى شىء وهو أن ينطق بكلمة التوحيد صدقاً من قلبه لأن مَن قالها بلسانه وكذّبها بقلبه فهو منافقٌ معلوم النفاق.

- ونحن جميعاً نعلم كم من المنافقين الذين نطقوا بكلمة التوحيد بين يدى النبى ﷺ، وكذّبوها بقلوبهم.

وفيهم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٢) رواه البخارى (٧/ ٥٨٨) المغازى.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وصححه وأقره الذهبى فى السير (٣/ ٣٢١).

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ⑩﴾

(البقرة: ٨ : ١٠)

- ولقد فضح الله المنافقين فقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ١).

فهم يقولونها إذا جاءوا إلى النبى ولكنهم يكذبون بها من أعماق قلوبهم فكذّبهم الله فى تلك الشهادة التى شهدوها فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ (المنافقون: ١).

- وفى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنهما أن النبى ﷺ ومعاذ رديفه على الرَحل قال: يا معاذُ بنَ جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يارسول الله وسعديك (ثلاثاً). قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار» قال: يا رسول الله: أفلا أُخبِر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «إذاً يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[1].

- ففى هذا الحديث اشترط النبى ﷺ فى نجاة من قال تلك الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه.

ويحك عذ بالله ذى الجلال والمجد والنعماء والإفضال
ثم اتل ايات من القرآن ووحّد الله ولا تبال

- بل لقد ورد فى صحيح مسلم عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوى صوته ولا نفقه مايقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله: خمس صلوات فى اليوم والليلة، فقال هل علىَّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوّع، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال هل علىَّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله

---

(١) متفق عليه عن أنس ـ صحيح الجامع (٧٩٦٧) ورواه أحمد.

ﷺ : «أفلح إن صدق»(١) .

- فاشترط النبى ﷺ لفلاح هذا الرجل أو لدخوله الجنة أن يكون صادقاً فيما يقول على الرغم من أن الرجل قد اكتفى بالفرائض دون النوافل، فالصدق منجاة وعاقبته تحمل فى طياتها كل خير.

- وأعظم أنواع الصدق كما قلنا هو الصدق مع الله وذلك لا يكون إلا بتحقيق التوحيد لله جل وعلا.

- فمن لم يحقق التوحيد لله جل وعلا فلن يدخل الجنة وإن صام وإن صلى، فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة، وتلك الشريعة تنظِّم حياة البشر ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم حتى تصحّ عقيدتهم.

وإياك أن تستصغر أى ذنب يقدح فى توحيد العبد لله جل وعلا، فقد أخبر النبى ﷺ أنه دخل النار رجلٌ فى ذباب.

- فعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مرّ رجلان على قومٍ لهم صنم لا يجوزهُ أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندى شىء أقرِّب. قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرِّب، فقال ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل. فضربوا عنقه فدخل الجنة»(٢) .

- فلما كان ذلك كذلك فاعلم أيها الأخ الكريم أو العبودية بصورها وأنواعها لا ينبغى أن تُصرف لغير الله، فلا تذبح لغير الله، ولا تلجأ لغير الله، ولا تتوكل على غيرالله، ولا تنذر لغيرالله، ولا تعتقد أن هناك مَن ينفع أو يضر من دون الله فإن الله هو الضار وهو النافع ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾

(آل عمران: ١٥٤)

---

(١) رواه مسلم عن طلحة بن عبيد الله ــ باب الإسلام ما هو؟ وبيان خصاله ــ كتاب الإيمان.

(٢) أخرجه أحمد فى كتاب الزهد ص ١٥، عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسى موقوفًا، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية موقوفًا أيضًا بسند صحيح.

- فأقيموا التوحيد لله فى قلوبكم فبه تتنزل البركات والرحمات من عند رب الأرض والسماوات.

٢- الصدق فى محبة الله ورسوله ﷺ :

ما من مسلمٍ يعيش فى أرض الله إلا وهو يدّعى ويزعم أنه صادق فى حبه لله ولرسوله ولشرعه، ولكن الله جل وعلا أراد أن يضع لنا مقياساً نعرف من خلاله مدى حبنا لله وللرسول ﷺ وهل نحن صادقون فى تلك المحبة أم كاذبون فى ادعائها فقال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

(آل عمران: ٣١، ٣٢)

قال ابن كثير فى تفسيره: «هذه الآية حاكمةٌ على كل مَن ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب فى دعواه تلك حتى يتبع الشرع المحمدى فى جميع أقواله وأفعاله».

تعصى الإله وأنت تُظهر حبه هذا لعمرى فى القياس شنيعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيعُ

- فحقٌ على كل مسلمٍ أن يسعى لمرضاة الله جل وعلا، وإن كان ذلك سببًا فى سخط أهل الأرض قاطبةً، فإن الغاية التى نريدها هى مرضاة الحق تبارك وتعالى.

ليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غِضابُ
وليت الذى بينى وبينك عامرٌ وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الود فالكل هينٌ وكل الذى فوق التراب ترابُ

- بل يقول الحبيب ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا مَن أبَىَ. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»(١).

- فعلينا أن ننظر إلى أحوالنا مع الله من خلال تلك الآية العظيمة، وهل نحن متّبعون لشرع الله ولسنة رسول الله ﷺ حتى ندّعى محبتنا لله ولرسوله ﷺ، بل

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٤٥١٣).

لا بد أن نقيس حبنا لله ولرسوله ﷺ بمقياس حب الصحابة لله وللرسول ﷺ وحينها سنعرف ونرى الحقيقة واضحة جلية جلاء الشمس فى وضح النهار، فهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿**رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾، بل قال عنهم سبحانه وتعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)**﴾ (الأحزاب: ٢٣).

- والمقصود يا إخوانى أن محبة الله تعالى هى الغاية القصوى وهى فرض على كل مسلم، . . . . ومن شواهد تلك المحبة قوله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وقوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ وهذا دليل على إثبات الحب لله. . . ولقد كان من محبة أصحاب النبى ﷺ لربهم جل وعلا أنه ما من أمر يأتى من الله إلا قالوا سمعنا وأطعنا. . وإذا جاءهم نهى من الله قالوا سمعنا وانتهينا.

وممـــا زادنى فخـــراً وتيهـــاً وكـــدت بأخمصى أطأ الثُريا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صـــيّرت أحمد لى نبياً

- وفى الحديث أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة»؟ قال: حب الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت»، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبى ﷺ «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[١].

- وروى أن ملك الموت جاء إلى الخليل عليه السلام ليقبض روحه، فقال له هل رأيت خليلاً يمُيت خليله؟ فأوحى الله إليه هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت اقبض.

أما عن أسباب محبة الله جل وعلا:

١ ـ قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من قلبه فلا يجعل فى قلبه إلا محبة الحق تبارك وتعالى كما قال الله جل وعلا عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿**إذ جاء ربه بقلب سليم**﴾ قلب سليم من الشرك والشك قد حقق التوحيد لله ولم يجعل فى قلبه

(١) متفق عليه، وهذه رواية مسلم عن أنس، باب المرء مع من أحب ـ كتاب البر والصلة.

سوى محبة الله حتى إن الله لما أمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ما تردد ولا تأخر بل قام ليثبت للحق تبارك وتعالى أن حبه قد ملأ عليه قلبه فلم ولن تطغى محبته لأحد من البشر على محبته لله جل وعلا.

ولذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ (التوبة: ٢٤)، فإياك أن توثر شيئاً من الدنيا على محبة الحق تبارك وتعالى، بل عليك أن تنقاد إليه ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

تأمل فى الوجود بعين فكرٍ ترى الدنيا الدنيئة كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

٢- معرفة الله جل وعلا:

إنها دعوة للعلم بالله فمن كان به أعلم فهو له أخشى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

- فالكون كله كتاب مفتوح لمن أراد أن يتطلع إلى آيات الله جل وعلا، فتارة يذهب بك الكون إلى الأزهار والحقول ثم يرتفع بك إلى مدارات الكواكب والنجوم، ثم يقرع سمعك مع كل مشهد بقوله: **﴿أإله مع الله﴾** تعالى الله عما يشركون.

- فالكون كله ينطق بل ويصرخ فى وجه كل جاحدٍ وفى وجه كل منكبر ويقول

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١١)﴾

(لقمان: ١١)

- يقول الإمام المُزنَى: طرأ على عقلى مسألة تتعلق بذات الله جل وعلا، فقلت فى نفسى لا بد أن أُخرج ما فى قلبى للإمام الشافعى، فذهبت إليه فأخبرته الخبر فغضب الشافعى وقال له: أبَلَغَك أن الله أمر بالسؤال عن هذا؟ قال: لا. قال الشافعى: أبلغك أن رسول الله ﷺ أمرك بالسؤال عن هذا؟ قال: لا. قال الشافعى: أبلغك أن الصحابة تكلموا فى هذا؟ قال: لا. قال الشافعى: فكم نجماً فى السماء؟. قال: لا أعلم. قال فكوكب منها أتعلم جنسه وأُفوله وطلوعه ومن أى شيء خُلق؟ قال: لا. قال الشافعى: فشيء تراه بعينك من خلق الله لا تعلمه تتكلف أن تعلم خالقه جل جلاله.

ثم قال: يا هذا إذا هجس فى خاطرك شيء من هذا فارجع إلى ربك وارجع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ (البقرة: ١٦٤).

ثم قال فاستدل بالمخلوق على الخالق ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

انظـر لتلك الشـجرة ذات الغصـون النضـرة
كيـف نمـت مـن حبةٍ وكيف صـارت شـجرة
ابحـث وقـل مـن يُخـرج منهـا الثمـرة
ذاك هـو اللـه الذى أنعمـه منهمـرة
ذو حكمـة بالغـة وقـدرة مقتـدرة

سـل الواحـة الخضـراء والماء جارياً وهـذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مُزداناً سل الزهـر والندى سـل الليل والإصباح والطير شادياً
سـل هـذه الأنسام والأرض والسـما سل كل شيء تسمع التوحيد لله سارياً

ولو جَنَّ هـذا الليل وامتد سـرمداً فمـن غيـرُ ربى يُرجع الصبح ثانياً

أإلـه مـع اللـه

ورحم الله من قال:

قل للطبيـب تخطّفته يدُ الردى مَن يا طبيـب بطبـه أرداكـا

قل للمريض نجا وعوفى بعد ما عجزت فنـون الطـب مَـن عافاكـا

قل للصحيح يموت لا من علةٍ مَـن بالمنايا يا صـحيح دهـاكـا

قل للبصـير وكان يحـذر حفرةً فهوى بهـا مـن ذا الذى أهـواكـا

بل سائل الأعمى خَطَا وسط الزحام بلا اصطدام مـن يقـود خطاكـا

قل للجنين يعيش معزولاً بلا راعى ومَـرعَى ما الـذى يرعـاكـا

قل للوليـد بكى وأجهش بالبكاء لـدى الولادة مـا الذى أبكاكـا

وإذا تـرى الثعبـان ينفث سُـمه فاسـأله من ذا بالسـموم حشاكـا

واسـأله كيـف تعيـش يا ثعبـان أوتحيـا وهـذا السـم يملأ فاكا

واسأل بطـون النحل كيف تقاطرت شـهداً وقل للشـهد مَـن حـلاّكـا

بل سـائل اللـبن المُصـفّى كـان بين دمٍ وفـرث ما الـذى صـفّاكـا

وإذا رأيت الحى يخرج من حنايا ميتٍ فاسـأله مَـن أحيـاكـا

قـل للهـواء تحسُـه الأيـدى ويخفى عن عيون الناس مَن أخفاكا

قل للنبـات يجـف بعـد تعهـدٍ ورعايـةٍ مـن بالجفـاف رمـاكا

وإذا رأيـت النبـت فى الصـحراء يربـو وحـده فاسأله مَن أرباكا

وإذا رأيـت البـدر يسـرى ناشراً أنـواره فاسـأله مَن أسـراكا

واسـأل شـعاع الشـمس يدنـو وهى أبعدُ كل شىء ما الذى أدناكا

قل للمريـر من الثمار من الـذى بالمـر مـن دون الثمـار غذاكـا

وإذا رأيـت النخل مشـقوق النوى فاسـأله من يا نخـل شق نواكا

وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار مَن أوراكا
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً قمم السحاب فسله مَن أرساكا
وإذا ترى صخراً تفجَّر بالمياه فسله من بالماء شق صفاكا
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى فسله مَن الذى أجراكا
وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج طغا فسله مَن الذى أطغاكا
وإذا رأيت الليل يغشى داجياً فاسأله مَن يا ليل حاك دجاكا
وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحياً فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا
ستجيب ما فى الكون من آياته عجبٌ عُجابٌ لو ترى عيناكا
رب لك الحمد العظيم لذاتك حمداً وليس لواحدٍ إلاّكا

- قال الحسن البصرى رحمه الله: مَن عرف ربه أحبه، ومَن أحب غير الله تعالى لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره عن معرفته، فأما حب الرسول ﷺ فذلك لا يكون إلا عن حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء؛ لأنه كما قال القائل «حبيب حبيبى.. حبيبى. وعدو حبيبى عدوى»... وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل ولا محبوب فى الحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه.

- فمن عرف الله أخلص له فى المحبة وصدق معه فى العبودية، وجعل حياته ومماته لله رب العالمين.

*** وأما عن محبة رسول الله ﷺ:**

فقد كان الرجل من أصحاب النبى ﷺ يتمنى أن يفدى رسول الله بنفسه وماله وولده ووالديه والناس أجمعين.

ـ ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عن ابن إسحق:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذِن لى فى الخروج والهجرة» قالت عائشة: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت: فوالله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى.

وقال ابن كثير:

روى أبو القاسم البغوى عن ابن أبى مليكة أن النبى ﷺ لـمّا خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى ﷺ مرة، وخلفه مرة، فسأله النبى ﷺ عن ذلك، فقال: إذا كنت خلفك خشيت أنْ تُؤتَى من أمامك، وإذا كنتُ أمامك خشيت أن تُؤتى من خلفك.

- ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابنى دونك، فدخل فكسحه ووجد فى جانبه ثقباً فشق إزاره وسدّها به وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ أدخل فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجره ونام فلُدغ أبو بكر فى رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: مالك يا أبا بكر؟ قال لُدغت فداك أبى وأمى، فتفل رسول الله فذهب ما يجده(١).

- لقد أحبوا النبى ﷺ حتى جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وأحب إلىَّ من أهلى وأحب إلىَّ من ولدى وإنى لأكون البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزلت عليه ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾(٢).

- وعن ربيعة بن كعب الأسلمى أنه قال: «كنت أبيت عند النبى ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لى: «سَل» فقلت يا رسول الله: «أسألك مرافقتك فى الجنة فقال «أَوَغير ذلك» قلت: هو ذاك. قال: «فأعنّى على نفسك بكثرة السجود»(٣).

---

(١) رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيه ثم انتفض عليه (أى رجع أثر السم حين موته) وكان سبب موته. انظر مشكاة المصابيح، باب مناقب أبى بكر ٢/ ٥٥٦.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة (سورة النساء رقم ٦٩) وقال: أخرجه أبو بكر بن مردويه عن عائشة، وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٠) ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط عن عائشة، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمر العابدى وهو ثقة.

(٣) رواه مسلم عن ربيعة الأسلمى ـ ذكره ابن كثير فى تفسيره.

- وقال ﷺ لثوبان: «عليك بكثرة السجود فإنك لاتسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطّ بها عنك خطيئة»[١].

- بل انظر لتلك التضحيات التى قام بها الصحابة من أجل الدفاع عن شخص النبى ﷺ.

يأتى أبو عبيدة بن الجراح ليُخرج حلقتى المِغفر من وجه النبى حتى وقعت أسنانه فقام مالك بن سنان ليمتص الدم من وجنته ﷺ من أثر الحديد الذين دخل فى وجهه حتى أنقاه، فقال له النبى ﷺ: مُجّه، فقال والله لا أمُجّه أبداً ثم أدبر يقاتل فقال النبى ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فقُتل شهيداً»[٢].

عن موسى وعيسى ابنى طلحة، عن أبيهما أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابى جاء يسأله عمن قضى نحبه: مَنْ هو، وكانوا لا يجترؤون على مسألته ﷺ، يوقّرونه ويهابونه، فسأله الأعرابى، فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم إنى اطلعت من باب المسجد ـ وعلَىَّ ثيابٌ خُضْرٌ ـ فلما رآنى رسول الله ﷺ قال: «أينَ السائلُ عمَّنْ قضى نحبهُ؟» قال الأعرابىُّ: أنا. قال: «هذا ممَّنْ قَضَىَ نحبهُ»[٣].

- فما الذى صنعه طلحة حتى يشهد له النبى تلك الشهادة العظيمة.

- لما احتدم القتال حول رسول الله ﷺ فى غزوة أحد عندما خالف الرماة أمر رسول الله فأصابهم ما أصابهم واشتد القتال حول رسول الله ﷺ وحاولوا قتله فدافع عنه تسعة من الصحابة.

- فعن أنس أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال: مَن يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقى فى الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل ثم رهقوه أيضاً فلم يزل كذلك حتى قُتل سبعة

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ثوبان وأبى الدرداء ـ صحيح الجامع (٤٠٥٠)

(٢) ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/ ١١٤) عن أبى سعيد أنه قال: أصيب وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فاستقبله مالك بن سنان فمص جرح رسول الله ﷺ ثم ازدرده (أى ابتلعه)، فقال رسول الله ﷺ: من أحب أن ينظر إلى من خالط دمى دمه، فلينظر إلى مالك بن سنان.

(٣) رواه الترمذى (٣٧٤٢) فى المناقب. وقال: حسن غريب ـ السير (١/ ٢٨).

فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه (أي القرشيين) ما أنصفنا أصحابنا(١).

- وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط وبعد لحظة فاءت إلى رسول الله فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة وأدنوه من رسول الله فمات وخده على قدم رسول الله(٢).

- وبعد سقوط ابن السكن لم يبق مع النبى غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص.

فأما سعد فقد نثل له رسول الله ﷺ كنانته وقال: «ارم فداك أبى وأمى»(٣).

- وأما طلحة فإنه لما أدرك المشركون رسول الله قال: مَن للقوم؟ قال طلحة: أنا فقاتل طلحة حتى ضُربت يده فقُطعت أصابعه، فقال حس. فقال النبى ﷺ: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون» ثم رد الله المشركين(٤).

- وعن قيس بن حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى يوم أحد(٥).

- وجُرح فى تلك الغزوة تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشُلّت أصبعه أى السبابة والتى تليها(٦).

- وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»(٧).

- وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال ذلك اليوم كله لطلحة(٨).

- وقال فيه أبو بكر أيضاً:

(١) رواه مسلم عن أنس بن مالك ــ باب غزوة أحد ــ كتاب الهجرة والمغازى.

(٢) ابن هشام ٢/ ٨١.

(٣) رواه البخارى، باب مناقب سعد، كتاب فضائل الصحابة، ورواه مسلم عن على ــ باب فى فضل سعد بن أبى وقاص، كتاب فضائل الصحابة.

(٤) فتح البارى (٧/ ٤١٨) ورواه النسائى بسند صحيح عن جابر والطبرانى عن أبى طلحة وأنس، وعند البيهقى بزيادة (حتى تلج بك فى جو السماء).

(٥) رواه البخارى عن قيس بن حازم ــ حديث رقم (٤٠٦٣).

(٦) البخارى ٧/ ٣٦١.

(٧) رواه الترمذى والحاكم عن جابر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٨) فتح البارى (٧/ ٣٦١).

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت   لك الجنان وبوأت المها العينا[١]

عن عائشة وأم إسحاق بنتى طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها فى رأسه شجةٌ مربّعة، وقُطع نساه ـ يعنى العرق ـ وشلَّت أصبعُه، وكان سائر الجراح فى جسده، وغلبه الغَشْىُ، ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيتهُ، مشجوجٌ فى وجهه، قد علاه الغَشْىُ، وطلحةُ محتملهُ، يرجعُ به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشِعب (٢).

حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»[٣].

- بل لقد بلغ حبهم للنبى ﷺ أنهم كانوا يخافون عليه حتى فى حال موتهم ورحيلهم عن الدنيا.

يقول زيـــد بن ثابت بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لى: إن رأيته فأقرئه منى السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد إن رسول الله يقرأ عليــك السلام ويقول لك أخبرنى كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله السلام. قل له يا رسول الله ﷺ أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف وفاضت نفسه من وقته[٤].

- بل عند الرجوع من غزوة أُحد مرّوا بامرأة من بنى دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها بأُحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليها حتى إذا رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل - تريد صغيرة[٥].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٢).

(٣) أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن الزبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٠)، بلفظ «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع» الصحيحة (٩٤٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢) وأبو داود (٢٨٩١) فى الفرائض ـ والترمذى (٢٠٩٣) فى الفرائض. وقال: حديث صحيح.. ونقل المنذرى تحسينه له وهو الأصحّ.

(٥) ابن هشام (٢/ ٩٩).

٣- الصدق فى محبة الآخرة والزهد فى الدنيا:

عَلِم أصحاب النبى ﷺ أن الدنيا دار ممر وأن الآخرة دار مقر، فأخذوا من ممرهم لمقرهم وأخذوا من دنياهم لأخراهم فلم يشيدوا إلا العمل الصالح ولم يجمعوا إلا ما يقربهم من الله، فلما زهدوا فى الدنيا أتتهم الدنيا وهى راغمة.

- قال ﷺ: «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدّر له»(١).

فتركوا الدنيا لأن النبى ﷺ علّمهم الزهد وربّاهم عليه تربية عملية فكان مما قاله ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم.

«ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً ومتعلماً»(٢).

- وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال نام رسول الله على حصير فقام وقد أثّر فى جنبه، قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء! فقال: «مالى وللدنيا؟ ماأنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(٣).

- فلما أخذوا تلك الدروس من سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام زهدوا فى الدنيا فلم تعد تساوى فى قلب أحدهم مثقال خردلة.

- فهذا عمر لما ندب النبى ﷺ أصحابه يوماً للصدقة جاءه عمر بنصف ماله وهو يقول اليوم أسابق أبا بكر.

يقول عمر فلما وضعت المال فى حجر النبى ﷺ ،قال ماذا تركت لأولادك؟ قلت: نصف ما لى. يقول عمر: فوجدت أبا بكر قد تصدق بماله كله فلما سأله النبى ﷺ ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟ قال: تركت لهم الله ورسوله ﷺ(٤).

- ويأتى صحابى آخر فلا يجد شيئاً يتصدق به فيتصدق بعِرضه ويقول اللهم ليس

---

(١) رواه الترمذى عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٠) الصحيحة (٩٤٩).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٣) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجة والحاكم عن ابن مسعود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨)، الصحيحة (٤٣٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذى (٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألبانى فى صحيح السنن: حسن.

عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيئاً فهو صدقة. . . عن رجل من المسلمين فأوحى الله إلى النبى ﷺ أنى قد غفرت له[١].

- بل هذا أبو طلحة يسمع قول الله عز وجل: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** (٩٢)﴾ (آل عمران: ٩٢)، فيبادر فيجعل أفضل بساتينه فى سبيل الله[٢].

- نعم فهم الذين تربوا على حب الآخرة، والرغبة فيما عند الله. . . . بل إنهم كانوا يسمعون من فم المصطفى ﷺ قول الله عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** (٢٤)﴾ (التوبة: ٢٤).

سمعوا تلك الآيات تقرع الأسماع والقلوب فلم يتركوا شيئاً من الدنيا إلا وقد جعلوه لله فلم يبق فى قلوبهم سوى حب الله وحب رسوله ﷺ .

عن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتَّبعه، ثم قال: أهاجرُ معك، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غنمَ النبى ﷺ سبياً، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ قسمهُ لك النبى ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك» قال: ما على هذا اتَّبعتك، ولكنى اتبعتُكَ على أن أُرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدُق الله يصدُقْكَ» فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يُحملُ قد أصابهُ سهمٌ حيث أشار، فقال النبى ﷺ : «أهُوَ هُوَ؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقهُ»، ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جُبَّة النبى ﷺ ، ثم قدَّمهُ فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مُهاجراً فى

---

(١) ذكره الغزالى فى الإحياء (١٧٣/ ٣) أخرجه أبو نعيم فى الصحابة، والبيهقى فى الشعب بإسناد لين، وابن عبد البر فى الاستيعاب عن أبى هريرة ـ كذا فى تخريجه للحافظ العراقى.

(٢) الحديث بمعناه ثابت فى الصحيحين، عن أنس رضى الله عنه، أخرجه البخارى رقم (١٤٦١) ومسلم فى كتاب الزكاة (٩٩٨/ ٤٢).

سبيلك فقُتل شهيدًا أنا شهيدٌ على ذلك»[١].

- نعم صدقوا الله فى حبهم للآخرة وزهدهم فى الدنيا حتى أتتهم الدنيا وهى راغمة.

- فهذا صهيب الرومى لما دخل فى الإسلام ما كان يملك شيئاً من حطام الدنيا بل ضحى بالغالى والنفيس من أجل أن يتشرف بنعمة الإسلام، ثم أغناه الله بعد ذلك من فضله، ولما هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة أراد صهيب أن يهاجر وأن يلحق بالنبى ﷺ فلحقه نفر من قريش - من المشركين - ليردّوه إلى مكة فنزل عن راحلته ونثر ما فى كنانته وأخذ قوسه ثم قال يا معشر قريش لقد علمتم أنى من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إلىَّ حتى أرمى بمافى كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء ثم افعلوا ما شئتم. قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة، ونخلى عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه، ففعل.

«ويا له من درسٍ عظيم فالمشركون يعلمون أن المسلم لا يكذب ولا ينبغى له أن يكذب». فلما قدم على النبى ﷺ قال: «أبا يحيى! ربح البيع ربح البيع، وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (٢٠٧)﴾[٢] (البقرة: ٢٠٧).

- فوالله للدنيا بشهواتها وملذّاتها وكل ما فيها لا تساوى قول النبى ﷺ لصهيب ربح البيع.

فأى متاعٍ يساوى ربح البيع، وأى زخرف يساوى ربح البيع، لقد تاجر مع الله تجارة رابحة ونِعم التجارة.

- صدقوا حتى إن أحدهم «هارون الرشيد» كان ينظر إلى السحابة فى كبد السماء وهو يقول أيتها السحابة أمطرى حيث شئت فإن خراجُك سوف يأتينى إن شاء الله (وذلك لعِظم ملكه).

- وهذا عمر بن عبد العزيز الذى يفيض المال على عهده فى بيت مال المسلمين فيأمر مَن ينادى كل يوم فى كل بلد من بلاد المسلمين «وقد كان ملكه يوازى ربع

---

(١) أخرجه النسائى عن شداد بن الهاد ـ كتاب الجنائز (١٩٢٧) ورواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٥٦).

(٢) أسباب النزول للواحدى (ص ٤٣). قال الألبانى فى تخريج فقه السيرة للغزالى (ص ١٦٨). ذكره ابن هشام معلقًا مرسلاً، وقد وصله الحاكم عن أنس وعن عكرمة مرسلاً وله شاهد عند الطبرانى عن صهيب.

الكرة الأرضية الآن» فينادى المنادى: أين الفقراء؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ أين الأرامل؟ فيرجع المال كله مرة أخرى إلى بيت مال المسلمين لا يجد طريقاً لمن يأخذه. . . . فالقناعة قد ملأت قلوب المسلمين فيأمر عمر بن عبد العزيز بتزويج الشباب المسلم من بيت مال المسلمين ومن أراد الحج فحجه من بيت مال المسلمين، ومن كان عليه دين فسداد دينه من بيت مال المسلمين، ثم يأمر بإلقاء الحبوب للطيور حتى ينعم الطيرفى عهد المسلمين «ووالله لتمنينا أن يلقى المسلم فى هذه الأيام اهتماماً مثل الذى كان يلقاه الطير فى عهد العُدول رضى الله عنهم».

ثم يقول ما تبقى من مالٍ فتصدقوا به على فقراء أهل الكتاب.

بل يدخل عليه راعٍ من رعاة الغنم فيقول يا أمير المؤمنين، لقد حدث عندى شىء عجيب!! قال عمر: وما ذاك؟ قال راعى الغنم: إن الذئب يأتى وينام فى حضن الغنم. قال له عمر: لا غرابة فى ذلك، فلقد أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم.

- الله أكبر!! مَن أطاع الله طوَّع الله له كل شىء وسخَّر له الدنيا بأسرها بكل ما فيها من جبال وأنهار وأشجار، بل يسخِّر الله له حتى الدواب، فكل الكائنات تتفاعل مع الإنسان، فإن كان طائعاً سخَّرها الله له، وإن كان عاصياً اختلفت وجهة الكون مع وجهة الإنسان **﴿ومن كفر فعليه كفره﴾**.

- فهؤلاء الذين صدقوا مع الله، أما نحن فقد بعنا الآخرة بالدنيا فكنّا كمن باع كل شىء بلا شىء واشترى لا شىء بكل شىء فمنّا والله مَن باع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- يقول النبى ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعَرَض من الدنيا»(١).

- ويقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾** (طه: ١٢٤ - ١٢٦).

- فالجزاء من جنس العمل فمن أعمى بصره عن الآخرة أعمى الله بصره وبصيرته

---

(١) رواه مسلم، باب بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢٨١٤) ورواه أحمد والترمذى ــ الصحيحة (٧٥٨).

﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾

- أما من طمع فيما عند الحق تبارك وتعالى وزهد فى الدنيا فإن الله تعالى يحبه ويرزقه جلاءاً فى البصر والبصيرة فلو عُرضت عليه الدنيا بأكملها ما تأثر بها، ولو علم أن الله جل وعلا قد تقبَّل منه سجدةً واحدة لكان أسعد مخلوق فى هذه الدنيا.

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
وشغلك فيما سوف تكره غبّه كذلك فى الدنيا تعيش البهائمُ
وفعلك فعل الجاهلين بربهم وعمرك فى النقصان بل أنت ظالمُ
فلا أنت فى الأيقاظ يقظان حاذرٌ ولا أنت فى النّوام ناجٍ وسالمُ
تُسرّ بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات فى النوم حالمُ
فلا تَحمد الدنيا ولكن فذمها ولا تكثر العصيان إنك ظالمُ

- ولذا لما دخلوا على الحسن البصرى فوجدوه طوال الأسبوع لا يأكل إلا خبزاً وملحاً فسألوه عن ذلك، فقال إنما نتصبرمن الدنيا حتى يُجهّز لنا الشواء فى الجنة... فهم لا يطمعون فى شىء سوى الجنة لأنهم أيقنوا أن أى متاع دون الجنة فهو لا يساوى عند الله جناح بعوضة.

٤- الصدق فى المؤاخاة:

لقد صدق أصحاب النبى ﷺ فى كل شىء حتى فى محبتهم لإخوانهم، فلم يطمع أحدهم فيما عند أخيه بقدر طمعه فى حُب أخيه، فلم يحمل أحدهم شيئاً فى صدره لأخيه بل حملوا الحب والوفاء لإخوانهم.

قال الإمام الشافعى:

أُحب الصالحين ولست منهم لعلى أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارتهم معاصى وإن كنا سوياً فى البضاعة

فقال له الإمام أحمد:

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة
وتكره من تجارتهم معاصى وقاك الله من شر البضاعة

- ولذا فإن المؤمن لا بد أن يحرص على صحبة المؤمنين الصادقين ولا بد أن يتعاهدوا من الآن على أن يشفعوا لبعضهم البعض فى هذا اليوم العصيب، وبذلك تكتمل معانى الأخوة فى الدنيا والآخرة، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** (٦٧)﴾ (الزخرف: ٦٧).

- وكذلك يجب أن تَحرص على أن تحمل فى قلبك كل المحبة لإخوانك ولا تجعل فى قلبك غشاً ولا حسداً لأحدٍ من المسلمين.

- ولعلكم تعلمون قصة الرجل الذى قال عنه النبى ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».

فعن أنس رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إنى لاحيت أبى، فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت. قال: «نعم». . . . قال أنس: فكان عبد الله يحدِّث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر. . . . قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التى بلغت بك، وهى التى لا تُطاق[1].

---

(١) رواه أحمد والنسائى وقال ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٣٣٨) وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

- يقول النبى ﷺ : «مَن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(١).

- وليس هذا فحسب، بل إن المحبة من أجل الله توجب محبة الله للعبد.

- إن الله تعالى يقول: «حقت محبتى للمتحابين فىَّ وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ وحقَّت محبتى للمتناصحين فىَّ وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ. المتحابون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»(٢).

- بل يصبح من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله.

- فقد قال ﷺ : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: ـ وذكر منهم ـ ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(٣).

- ولقد كانت تلك المحبة سبباً فى وجوب الجنة لرجلٍ يحب أخاه من أجل الله عز وجل.

- قال ﷺ : «إن رجلاً زار أخاً له فى الله فأرصد الله له ملكاً، فقال أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخى فلاناً، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة لك عنده؟ قال: لا. قال: فبم؟ قال: أحبه فى الله. قال: فإن الله أرسلنى إليك أخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة»(٤).

يقول الشافعى رحمة الله عليه:

إذا المــرءُ لا يرعــاك إلا تكلفــا ... فدعــه ولا تُكثــر عليــه التأســفا

ففى الناس إبدالٌ وفى الترك راحةٌ ... وفى القلب صبرٌ للحبيب ولو جفا

فمــا كل من تهــواه يهـواك قلبُه ... ولا كــل من صـافيتُه لك قد صفا

(١) رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) رواه أحمد والحاكم والطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت ـ صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٦٠٣)، ورواه أحمد والترمذى والنسائى ومالك.

(٤) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٥٦٧) بطرق «زار رجل....» الصحيحة (١٠٤٤) البخارى فى الأدب المفرد (٥٥/ ٥).

إذا لـم يكـن صفو الوداد طبيعةً فلا خيـر فى خِلٍّ يجـىء تكلفـا

ولا خيـر فـى خِلٍّ يخـون خليله ويلقاه مـن بعـد المـودة بالجفـا

وينكـر عيشـاً قد تقادم عهـدُه ويُظهـر سـراً كان بالأمس قد خفـا

سـلامٌ على الدنيـا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد منصفا

- ولقد ضرب أصحاب النبى ﷺ المثل والقدوة فى الحب فى الله - تلك الأخوة والمحبة التى عاشت فى ظل الإخلاص والتفانى وبذل الغالى والنفيس ابتغاء مرضاة الله.

- فها هو سعد بن الربيع يؤاخى النبى ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فقال سعد (الأنصارى) لعبد الرحمن (المهاجرى): إنى لأكثر الأنصار مالاً فاقسم مالى نصفين ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لى أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك فى أهلك ومالك أين سوقكم؟ فدلّوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبى ﷺ مهيم؟ قال: تزوجت. قال: كم سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب؟[١].

وإن إعجاب المرء بسماحة سعد لا يعدله إلا إعجابه بنُبل عبد الرحمن الذى زاحم اليهود فى سوقهم وبَزّهم فى ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان[٢].

- نعم فإن الإسلام دين يحث على العمل ولايرضى بالتواكل ولا يرضى بأن يخدش المسلم حياءه أو يُذهب ماء وجهه من أجل أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

- فانظر عندما تعفف عبد الرحمن بن عوف ورفض العطاء الذى عرضه عليه سعد بن الربيع عوّضه الله خيراً كثيراً وتزوج فى وقت قياسى «ومن يستعفف يعفه الله»[٣]. ، فلقد كان زواج المسلمين ميسراً بأمر الله.

---

(١) أخرجه البخارى ـ باب إخاء النبى بين المهاجرين والأنصار (٧/ ٣٧٨٠).

(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالى، (ص ١٩٣).

(٣) رواه البخارى وأحمد عن حكيم بن حزام ـ صحيح الجامع (٨١٩٦).

- أما الآن فالكسب الحلال والزواج الحلال أصبح ظلمات فى بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج. . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- قال النبى ﷺ: «خير النكاح أيسره»(١).

- فمن أراد الخير والبركة فى النكاح فعليه بالتيسير على شباب المسلمين وبنات المسلمين.

- ولقد كان صَدَاق بنات رسول الله ﷺ: «أربعمائة درهم أو خمسمائة، وكذا كان صداق أزواجه».

- بل لقد زوّج رجلاً بما معه من القرآن(٢).

ولنرجع مرة أخرى يا أخى الكريم لنرى ما الذى حدث لعبد الرحمن بن عوف الذى تعفف عن أخذ المال من أخيه سعد بن الربيع رضى الله عنهما.

- ففى غضون عشر سنوات أصبح عبد الرحمن بن عوف من أثرياء المدينة حتى إنه يوم أن مات النبى ﷺ قَدِم له من الشام فقط سبعمائة بعير محمّلة بالتجارة، وقد كان من يملك خمسة من البعير يُعد من الأغنياء وممن تستحق عليهم الزكاة، ففى كل خمسٍ من النوق شاة زكاة على ماله(٣).

عن ثابت البنانى قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتًا فى المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء. قال: وكانت سبعمائة بعير. قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا». فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فقال: إن استطعت لأدخلنها قائمًا. فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل(٤).

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان عن عقبة بن عامر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٢) أصل الحديث متفق عليه عن سهل بن أسعد، أخرجه البخارى رقم (٥٠٣٠) ومسلم فى كتاب النكاح رقم (١٤٢٥/ ٧٦).

(٣) صحيح أخرجه البخارى عن أبى بكر مطولاً ـ صحيح الجامع (٤٢٦٩).

(٤) صفة الصفوة (١/ ١٤٣) ط. دار ابن خلدون.

- هكذا كانت الدنيا فى أيديهم ولم تصل إلى قلوبهم، فملأوا قلوبهم محبة لله ولرسوله ﷺ ولإخوانهم المؤمنين.

- قال ﷺ: إن من عباد الله لأُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله ألا تخبرنا مَن هم؟ قال: هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموالٍ يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلَى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) ﴾[1] (يونس: ٦٢).

- أما عن **شروط الأخوة** بإيجاز شديد فلا بد أولاً أن تكون لله وفى الله بحيث تخلو من كل شوائب الدنيا ويكون الباعث عليها الإيمان بالله جل وعلا.

- وأما **آداب الأخوة فى الله**، فلا بد عند اختيارك لأخيك فى الله أن يكون عاقلاً لأنه لا خير فى مصاحبة الأحمق وأن يكون حسن الخلق لأن الإنسان إذا كان سيء الخلق فقد تغلبه الشهوة أو يتحكم فيه غضب فيسيء إلى صاحبه ولا بد أن يكون تقياً لأن الفاسق لا يؤمَن جانبه لأنه لا يخاف الله. وأخيراً لا بد أن يكون ملازماً للكتاب والسنة بعيداً عن الخرافة والبدعة لأن المبتدع هجرته متعينة ومقاطعته لازمة.

فاحرص يا أخى على أن تصحب الأبرار وتبتعد عن صحبة الأشرار.

*** وأما عن حقوق الأخوة فى الله فمنها:**

١- المواساة بالمال[2]: فيواسى كل منهما أخاه بماله إن احتاج إليه، بحيث يكون دينارهما ودرهمهما واحداً لا فرق بينهما فيه، . . . . كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه أتاه رجل فقال: إنى أريد أن أؤاخيك فى الله. قال: أتدرى ما حق الإخاء؟ قال: عرّفنى، قال: ألاّ تكون أحق بدينارك ودرهمك منى. قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عنى.

٢- أن يكون كل منهما عوناً لصاحبه فيقضى حاجته ويقدّمها على نفسه، ويتفقد أحواله كما يتفقد أحوال نفسه ويؤثره على نفسه، وعلى أهله وأولاده، يسأل عنه بعد

(١) رواه أبو داود فى سننه رقم (٣٥٢٧) وقال الألبانى فى صحيح السنن: صحيح.

(٢) المعاونة والمساعدة.

كل ثلاث فإن كان مريضاً عاده، وإن كان مشغولاً أعانه، وإن كان ناسياً ذكّره يرحب به إذا دنا، ويوسع له إذا جلس، ويصغى إليه إذا حدّث.

٣- أن يكف عنه لسانه إلا بخير، فلا يذكر له عيباً فى غيبته أو حضوره، ولا يستكشف أسراره، ولا يحاول التطلع إلى خبايا نفسه وإذا رآه فى طريقه لحاجة من حاجات نفسه فلا يفاتحه ذكرها، ولا يحاول التعرف على مصدرها أو موردها، ويتلطف فى أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، ولا يماريه فى الكلام، ولا يجادله بحق أو بباطل، لا يعاتبه فى شيء ولا يعتب عليه فى آخر.

٤- أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه، فيدعوه بأحب أسمائه إليه، ويذكره بالخير فى الغيبة والحضور، ويُبلّغه ثناء الناس عليه، مُظهراً اغتباطه بذلك، وفرحه به. فلا يسترسل فى نُصحه فيقلقه، ولا يترك نُصحه فيضيعه. كما قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

٥- يعفو عن زلاّته،ويتغاضى عن هفواته، يستر عيوبه، ويحسن به ظنونه. وإن ارتكب معصية سراً أو علانية فلا يقطع مودته، ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته، فإن أصرّ فله قطعه، أو الإبقاء على أخوّته مع إسداء النصيحة، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب فيتوب الله عليه. قال أبو الدرداء رضى الله عنه: إذا تغيّر أخوك، وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوّج مرة ويستقيم أخرى.

٦- أن يفى له فى الأخوة فيثبت عليها ويديم عهدها، لأن قطعها محبط لأجرها وإن مات نقل المودة إلى أولاده، ومن والاه من أصدقائه، محافظة على الأخوة ووفاء لصاحبها. فقد أكرم رسول الله ﷺ عجوزاً دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين»[١]. ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه، فقد قال الشافعى رحمه الله تعالى: إذا أطاع صديقك عدوك، فقد اشتركا فى عداوتك.

٧- ألا يكلّفه ما يشق عليه، وأن لا يحمّله ما لا يرتاح معه فلا يحاول أن

---

(١) أخرجه الحاكم والقضاعى عن عائشة، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢١٦).

يستمــد منه شيئاً من جاه، أو مال، أو يلزمه بالقيام بأعمال، إذ أصل الأخوة كانت لله فلا ينبغى أن تحوّل إلى غيره من جلب منافع الدنيا، أو دفع المضار. وكما لا يُكلّفه لا يجعله يتكلف له إذ كلاهما مُخِلٌ بالأخوة مؤثر فيها منقص من أجرهــا المقصود منهما، فعليه أن يطوى معه بساط التزمت والتكلف والتحفظ، إذ بهذه تحصل الوحشة المنافية للألفة. وقد جاء فى الحديث: «نُهِينا عن التكلف»(١).

وقال بعض الصالحين: من سقطت كلفته، دامت ألفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته. وآية سقوط الكلفة الموجب للأنس، والمذهب للوحشة أن يفعل الأخ فى بيت أخيه أربع خصال: أن يأكل فى بيته، ويدخل الخلاء عنده، ويصلى وينام معه، فإذا فعل هذه فقد تم الإخاء، وارتفعت الحشمة الموجبة للوحشة، ووجد الأنس وتأكد الانبساط.

٨- أن يدعــو له ولأولاده ومن يتعلق به بخير ما يدعو به لنفسه وأولاده ومن يتعــلق به، إذ لا فرق بين أحدهما والآخر بحكم الأخوة التى جمعت بينهــما، فيدعو له حياً وميتاً وحاضراً وغائباً.

قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملَك المُوكَّل به: آمين ولك بمثله»(٢). وقال أحد الصالحين: أين مثل الأخ الصالح؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف، والأخ الصالح ينفرد بالحزن، مهتماً بما قدم أخوه عليه، وما صار إليه، يدعو له فى ظلمة الليل، ويستغفر لـه وهو تحـت أطبـاق الثرى(٣).

- وأخيراً فمن طريف ما سمعت أنه دخل رجل على هارون الرشيد فقال له أعطنى مما أعطاك الله، فقال له هارون الرشيد أسأل الله أن يعطيك، فغضب الرجل وقال: أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. قال ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام ـ عن عمر رضى الله عنه.

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن أبى الدرداء ـ صحيح الجامع (٦٢٣٥).

(٣) منهاج المسلم (ص ١٠٠ ـ ١٠٣).

٥- الصدق فى الإخلاص:

والفرق بين الصدق والإخلاص. . أن الصدق هو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك ـ فى قول القلب واعتقاده، أو فى إرادته ونيته.

يقول الإمام ابن القيم فى كتاب الفوائد:

لا يجتمع الإخلاصُ فى القلب ومحبةُ المدح والثناء والطمعُ فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار والضبَ والحوت.

فإذا حدَّثتـكَ نفسُك بطلب الإخلاص، فأقبلْ على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبلْ على المدح والثناء فازهدْ فيهما زُهْدَ عُشّاق الدنيا فى الآخرة. فإذا استقام لك ذبْحُ الطمع والزهد فى الثناء والمدح سَهُلَ عليك الإخلاص.

فإنْ قلت: وما الذى يُسَهِّل علىَّ ذبحُ الطمع والزّهد فى الثناء والمدح؟.

قلت: أما ذبح الطمع، فيسهله عليك علمك يقيناً أنه ليس من شىء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه، لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبدَ منها شيئاً سواه. وأما الزهد فى الثناء والمدح، فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحُه ويزين ويضرُّ ذمُّه ويَشين إلا الله وحده، كما قال ذلك الأعرابى للنبى ﷺ : إن مدحى زين وذمِّى شَيْن، فقال: ذلك الله عز وجل.

فازهد في مدح من لا يزينك مدحُه، وفى ذمِّ من لا يشينك ذمُّه، وارغب فى مدح مَنْ كلُّ الزين فى مدحه وكل الشين فى ذمِّه. ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر فى البحر فى غير مركب.

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾ (الروم: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾
(السجدة: ٢٤)

- فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

- نعم، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)

- فالقلب محل النية وهو فى الآخرة محل الحساب، ولذا زكّى الله خليله إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ (الصافات: ٨٤).

- قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١).

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٢).

- وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ (البينة: ٥).

- ولذا فما من فعلةٍ صَغُرت أو كَبُرت إلا ويُنشر لها ديوانان: لِمَ؟ وكيف؟ لِمَ فعلت هذا الفعل؟ هل هو لجلب نفعٍ أو لدفع ضرٍ؟ هل هو لمولاك أم لحظّك وهواك؟ وكيف فعلت هذا الفعل؟ هل هو على هَدى النبى ﷺ أم على غير هَديه؟.

- يقول يحيى بن كثير: «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل».

نعم يا أخى فكم من الحسنات تتحصل عليها ببركة النية الطيبة ولكنّ هذا يحتاج إلى إخلاصٍ شديد. . . فلو رأيت مثلاً رجلاً يبنى مسجدًا، فعليك أن تخلص النية أنك لو كنت تملك مالاً لبنيت مسجدًا مثله، فيحصل لك من الأجر مثله.

- قال ﷺ: «إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنةً كاملة، فإن همّ بها فعملها كتبها الله

---

(١) رواه مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (١٨٦٢).

(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ كتاب الجهاد ــ باب النية فى الأعمال. . وهو متفق عليه.

تعالى عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة، وإن همّ بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله تعالى سيئةً واحدةً ولا يهلك على الله إلا هالك»[١].

- ففى تلك الأحاديث يخبر النبى ﷺ أن الإنسان المسلم قد يتحصل على الأجر العظيم من غير أن يعمل شيئاً ولكن شريطة أن يُخلص نيته لله جل وعلا.

قال ﷺ: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة حبسهم العذر»... وفى رواية «حبسهم المرض»[٢].

وقال ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبدٍ من صدقة ولا ظُلم عبدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً، ولافتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٍ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصلُ فيه رَحِمه ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالاً. لعملت بعمل فلانٍ فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فى ماله بغير علمٍ لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رَحِمه ولا يعمل لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولاعلماً فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»[٣].

- ولذا زكّى الله أبا بكر رضى الله عنه ومَن سلك مسلكه إلى يوم القيامة، وذلك عندما أعتق بلالاً رضى الله عنه.

فقد رُوى أن بلالاً رضى الله عنه كان عبداً مملوكاً لأمية بن خلف وكان سيده يعذبه لإسلامه ويُخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أوتكفر بمحمد!! فيقول وهو فى تلك الحالة: أحدٌ أحدٌ، فمرّ أبو بكر الصديق وهم يصنعون به ذلك فقال لأمية: ألا تتقى الله فى هذا المسكين!! فقال له أنت أفسدته علىَّ فأنقذه

(١) متفق عليه عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (١٧٩٦).
(٢) رواه مسلم عن جابر، ورواه البخارى وأحمد عن أنس ـ صحيح الجامع (٢٠٣٦).
(٣) رواه أحمد والترمذى عن أبى كبشة الأنمارى ـ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

بما ترى، فاشتراه أبو بكر منه وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون: إنما أعتقه ليد كانت له عنده فنزلت ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾[1] (الليل: ١٩ : ٢١).

فمن الذى وعده بالرضا؟ إنه رب السموات والأرض الذى وعده بالرضا فى يوم يقلّ فيه من يرضى - وعده بالرضا فى ذلك اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ (الحج: ٢).

فما أحوجنا إلى الرضا فى هذا اليوم العصيب الذى تشيب منه الولدان.

- ولقد كان الإخلاص سبباً فى نجاة الثلاثة الذين دخلوا فى الغار عندما قاموا، فقالوا: «إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم»، فقام كل واحد منهم يسأل الله عز وجل بعمله الصالح ويقول: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاءً وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه»، فكانت النتيجة الحتمية لهذا الإخلاص هى التفريج عن الثلاثة[2].

- فاجعلوا أعمالكم خالصة لوجه الله واحرصوا على أن تؤثروا الله فى كل صغيرة وكبيرة.... وتأملوا معى يا إخوانى تلك القصة وتدبروها.

- ففى تهذيب الكمال: كان ابن هبيرة والياً على العراقين (البصرة والكوفة) فى عهد يزيد بن عبد الملك وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب ويأمره أن ينفذ ما فى تلك الكتب، ولو كان مجافياً للحق أحياناً فدعا ابن هبيرة عالمين هما الحسن البصرى والشعبى ليستفتيهما فى ذلك هل له من مَخرجٍ فى دين الله أن ينفذ تلك الكتب، فأجابه الشعبى جواباً فيه ملاطفة ومسايرة والحسن يستمع وهو ساكت، فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ماذا تقول يا أبا سعيد؟.

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٣٨) عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق.... وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ٣٢٦) وتفسير الخازن (٤/ ٢٥٦).

(٢) أصل الحديث متفق عليه عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (١٥٠٤).

فقال الحسن: «وتأملوا معى يا إخوانى فى قول الحسن ــ رحمه الله». .

قال: يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله، واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك منَ الله.

يا ابن هبيرة: إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظٌ شديدٌ لا يعصى الله ما أمره فيزيلك عن سريرك وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك حيث لا تجد هناك يزيد وإنما تجد عملك الذى خالفت فيه رب يزيد.

يا ابن هبيرة: إنك إن تك مع الله وفى طاعته يكفيك بائقَة يزيد وإن تك مع يزيد فى معصية الله فإن الله يكلك إلى يزيد.

فبكى ابن هبيرة حتى سقطت دموعه من لحيته ومال عن الشعبى إلى الحسن وبالغ فى العطاء والإعظام والإكرام للحسن البصرى، فلما خرجا من عنده توجها إلى المسجد فاجتمع عليهما الناس وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع ابن هبيرة. فالتفت الشعبى إليهم وقال أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثِر الله على خلقه فى كل مقام فليفعل فو الذى نفسى بيده ما قال الحسن لابن هبيرة شيئاً أجهله ولكنى أردت فيما قلتُه وجه ابن هبيرة وأراد الحسن وجه الله فأقصانى الله منه وأدنى الحسن وحببه إليه. وصدق من قال:

يا من يرى ما فى الضمير ويسمعُ ... أنت المُعدّ لكل ما يُتوقع
يا من يُرجّى للشدائد كلِها ... يا من إليه المُشتكى والمفزعُ
يا مَن خزائن رزقه فى قول كن ... أُمنن فإن الخير عندك أجمعُ
مالى سوى فقرى إليك وسيلةٌ ... فبالافتقار إليك فقرى أدفعُ
مالى سوى قَرعى لبابك حيلةٌ ... فلئن رُددت فأىُ باب أقرعُ
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرِك يُمنعُ
حاشا لجودك أن تقنّط عاصياً ... الفضل أجزلُ والمواهب أوسعُ
ثم الصلاةُ على النبى وآله ... من جاء بالقرآن نوراً يسطعُ

٦- الصدق فى المراقبة:

إنه الشعور بأن فاطر السموات والأرض مطّلعٌ عليك فى كل صغيرة وكبيرة - تلك المراقبة التى تجلب لك خشية الله فى السر والعلن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ (الملك: ١٢).

إنها رقابة الحق تبارك وتعالى التى تسقط أمامها رقابة البشر، فإن رقابة البشر قاصرة، فالبشر يغفل وينام ويسهو ويموت والله جل وعلا حىٌّ لا يموت، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء فى الليلة الظَلماء، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ (المجادلة: ٧).

- إنه الخالق جل وعلا الذى أخذ عليك الميثاق وأنت فى ظهر أبيك آدم ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٢، ١٧٣).

- إنه الخالق جل وعلا الذى يراك وأنت نطفة فى بطن أمك: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)﴾ (الرعد: ٨ - ١٠).

- حينما تستحضر تلك المعانى تعلم أن عين الله تلاحقك فى سكناتك وحركاتك فتجعل حركاتك وسكناتك طاعةً لله جل وعلا فى كل زمان ومكان ممتثلاً لأمر النبى ﷺ «اتق الله حيثما كنت»[1]، وقوله: «احفظ الله يحفظك»[2].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى عن أبى ذر ومعاذ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧).

(٢) أخرجه أحمد والترمذى عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٧٩٥٧).

- ولذا لما سأل جبريل عليه السلام نبى الله محمد ﷺ فى الحديث الطويل فقال: وما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

- واستمع لما يقوله الحق تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ (آل عمران: ٢٠٠).... قال صاحب مختصر منهاج القاصدين:

فرابَطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة، فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات وأصلها المحاسبة ولكن كل حساب يكون بعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة.

- واعلم يا أخى الحبيب أن التاجر كما يستعين بشريكه فى التجارة طلباً للربح ويشارطه ويحاسبه كذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس وأن يوظّف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ثم لا يغفل عن مراقبتها فإنه لايأمن خيانتها وتضييعها رأس المال ثم بعد الفراغ ينبغى أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه التجارة ربحها الفردوس الأعلى فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس أهم من تدقيقه بكثير من أرباح الدنيا فحتمٌ على كل ذى عزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها فإن كل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها. فإذا فرغ العبد من فريضة الصبح ينبغى أن يفرّغ قلبه ساعة لمشارطة نفسه فيقول للنفس: ما لى بضاعة إلا العمر فإذا فَنِى منى رأس المال، وقع اليأس من التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأخّر أجلى فأنعمَ علىَّ به ولو توفّانى لكنت أتمنى أن يُرجعنى إلى الدنيا حتى أعمل فيه صالحاً فاحسبى يا نفسى أنك قد توفيت ثم رُددت فإياك أن تضيعى هذا اليوم واعلمى أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وأن العبد يُنشر له بكل يوم أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيُفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيحصل له من السرور بمشاهدة تلك الأنوار مالو وُزِّع على أهل النار لأدهشتهم عن الإحساس بألم النار.

ويُفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح ريحها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى الله تعالى فيها فيحصل له من الفزع والخزى ما لو قُسّم على أهل الجنة لنغّص

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة، صحيح الجامع (٢٧٦٢) أخرجه مسلم عن عمر.

عليهم نعيمهم. . . . ويُفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسوؤه ولا ما يسرّه وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشىء من المباح ويتحسر على خلوّها ويناله ما نال القادر على الربح الكثير إذا أهمله حتى فاته وعلى هذا تُعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم فى أن تعمّرى خزائنك ولا تدعيها فارغة ولا تميلى إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين مايدركه غيرك.

- قال عمر رضى الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا» فإنه أخفّ عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾[1] (الحاقة: ١٨).

- دخل الشبلى على ابن أبى الحسين النورى وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شىء، فقال له ممن أخذت هذه المراقبة والسكون؟ فقال: من سنّور كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الحجر حتى لا يتحرك منها شعرة.

- وينبغى أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفى العمل هل حرّكه عليه هوى النفس أو المحرِك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان العمل لله تعالى أمضاه وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

ـ قال الحســن: رحم الله عبداً وقف عند همّه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر[2].

* ثمرات المراقبة:

أما عن ثَمرات المراقبة فهى كثيرة ولكن نكتفى بعرض بعض الأمثلة ولقد مرّ علينا قصة المرأة التى أرادت أن تغش اللبن ومنعتها تلك الإبنة الصالحة وقالت لها إن كان أمير المؤمنين عمر لا يرانا فرب عمر يرانا. . . . وعَلمنا كيف أن الله جل وعلا كافأها بأن تتزوج من عاصم بن عمر بن الخطاب وجعل الله من ذريتها الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز.

---

(١) ذكره الألبانى فى الضعيفة (١٢٠١) وقال أخرجه أبو نعيم فى الحلية موقوفًا على عمر وإسناده جيد.
(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣ بتصرف.

وهذا هو عبد الله بن مسعود الذى راقب الله وصدق فى مراقبته لله فانظر كيف كان جزاؤه؟

فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت أرعى غنمًا لعُقبة بن أبى مُعَيْط، فمرَّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: يا غلام! هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكنى مؤتمن. قال: فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟ فأتيتُه بشاة، فمسح ضرعَها، فنزل لبنٌ، فحلب فى إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلُصْ، فقلَص.

زاد أحمد قال: ثم أتيته بعد هذا، ثم اتفقا ـ فقلت: يا رسول الله! علِّمنى من هذا القول، فمسح رأسى، وقال: «يرحمك الله إنك غُلَيِّمٌ معلَّم» (١). . . . فماذا كانت نتيجة رقابة ابن مسعود لله جل وعلا (كان من أول المسارعين للدخول فى الإسلام ثم خصّه النبى بنعمة عظيمة فقال للصحابة: «خذوا القرآن من أربعة ـ وكان من أولهم ابن أم عبد ـ (ابن مسعود) (٢)».

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى، فقال النبى ﷺ مم تضحكون؟ قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أحد» (٣)» أى من جبل أحد.

وعن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى، فافتتح سورة النساء يسجلها، فقال ﷺ: «مَنْ أحبَّ أنْ يقرأ القرآنَ غضًا، كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أُمِّ عبد» (فأخذ) عبد الله فى الدعاء. فجعل رسول الله يقول: «سَل تُعط». (فكان) فيما سأل: اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفدُ، ومرافقةَ نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنان الخُلد. فأتى عمرُ (عبد الله) يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسبّاقٌ بالخير (٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٤٦٥) ـ طبعة الرسالة.

(٢) متفق عليه عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٣٢١٣).

(٣) قال الألبانى فى غاية المرام (٤١٦): حسن ـ أخرجه أحمد وأبو داود الطيالسى عن ابن مسعود، ثم قال فى الصحيحة (٢٧٥٠): صحيح بطرقه الكثيرة وشواهده بطرف «مم تضحكون».

(٤) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبى بكر وعمر، وفى صحيح الجامع مختصرًا (٥٩٦١) بطرف «من أحب أن يقرأ. . .». سير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٥).

- وكان الأندلسى يعظ ابنه فيقول:

وإذا خـلوت بريبـةٍ فى ظُلمـةٍ والنفـسُ داعيـةٌ إلى الطغيـانِ
فاسـتحيى مـن نظر الإله وقل لها إن الذى خـلق الظلام يرانى

- وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خـلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علىَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل سـاعة ولا أن ماتُخفيـه عنه يَغيبُ

- فعليك يا أخى من الآن أن تراقب الحق تبارك وتعالى فى السر والعلن وتوقن أنه يراك، وقل فى نفسك: «الله ناظرى - الله مطّلع علىَّ».

- فمن الناس من يتظاهر بالصلاح أمام الخلق وإذا ابتعد عن أعين الناس ظن أن عين الله لا تراه، فينتهك المحارم، فيكون ذلك سبباً لأن يُحبط الله عمله، كما أخبر بذلك النبى ﷺ .

فقال: «لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً، أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(١) .

- أمّا مَن راقب الله فإن ذلك يكون باعثاً له على خشية الله جل وعلا فى السر والعلن، وتلك الخشية ستكون حادياً له على العمل بطاعة الله خوفاً من المحذور، وهنا تكون النجاة﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)** ﴾ (الملك: ١٢)

٧- الصدق فى الصبر:

إن الله سبحانه وتعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجُنداً لا يُهزم وحِصناً حصيناً لا يثلم.

- قال ﷺ «ما أُعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»(٢) .

(١) رواه ابن ماجة عن ثوبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٢٨).

(٢) متفق عليه عن أبى سعيد، صحيح الجامع (٥٨١٩).

ولقد ذكر الله الصبر فى القرآن فى نحوٍ من تسعين موضعاً فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)

لذا قال الإمام ابن تيمية: بالصبر واليقين تُنال الإمامة فى الدين.

- وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر: ١٠)

فوالله لو لم يكن فى القرآن آية عن الصبر سوى هذه الآية لكانت كافية، فإن الذى سيُعطِى هو الله سبحانه وتعالى.

- ولقد جمع الله للصابرين أموراً لم يجمعها لغيرهم فقال: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٧).

- ولما كان الصوم من الصبر قال تعالى: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى وأنا أجزى به)**[١].

* والصبر ثلاثة أنواع:

١- الصبر على طاعة الله:

فهذه تحتاج إلى صبر شديد لأن النفس بطبيعتها تنفر من العمل وتتشاغل وتتكاسل.

- قال أحد السلف الصالح: تعذّبت بالصلاة عشرين سنة ثم تلذذت بها عشرين سنة حتى إننى لأدخل فى الصلاة فأحمل هَمّ خروجى منها «والمقصود هنا أنه كان يجاهد نفسه فى المحافظة على الصلاة وليس المقصود أنه يُعذَّب بسبب الصلاة، فالصلاة هى شفاء القلوب وراحة الصدور وقرة الأعين».

كما كان الحبيب ﷺ يقول: «وجُعلت قرة عينى فى الصلاة»[٢].

ويقول: «أرحنا بها يا بلال».

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٤٣٢٨).

(٢) رواه أحمد والنسائى والحاكم عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

٢- الصبر عن المعصية:

وما أحوج العبد إلى ذلك.

ولقد ضرب الله لنا مثلاً حياً فى قصة يوسف عليه السلام عندما أرادت امرأة العزيز أن يفعل بها الفاحشة فما كان منه إلا أنه قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ ، وما كان منه إلا أن التجأ إلى الله جل وعلا وقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (يوسف: ٣٣).

- فالصبر عن المعصية تحتاج إلى رقابة الله عز وجل لكى تبتعد عن معصية الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ (الملك: ١٢).

- وإياك أن تنظر إلى صغَر المعصية ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيت، القائل فى كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر: ٦٧).

(ذنوبك يا مغرور)

ذنوبك يا مغرور تُحصى وتُحسبُ ... وتُجمع فى لوحٍ حفيظٍ وتُكتبُ

وقلبُك فى سهوٍ ولهوٍ وغفلةٍ ... وأنت على الدنيا حريصٌ معذَّبُ

تُباهى بجمع المال من غير حِلِهِ ... وتسعى حثيثاً فى المعاصى وتُذنِبُ

أما تَذْكُر الموت المفاجيك فى غدٍ ... أما أنت من بعد السلامة تَعطبُ

أما تَذْكُر القبر الوحيش ولحدَه ... وميزانَ قسطٍ للوفاء سيُنصبُ

تروح وتغدو فى مَراحك لاهياً ... وسوف بأشراك المنية تنشبُ

تعالج نزع الروح من كل مفصلٍ ... فلا راحمٌ يُنجى ولا ثَم مهربُ

وغُمّضت العينان بعد خروجها ... ووثِّقت الرجلان والرأس يُعصبُ

وقاموا سِراعاً فى جهازك أحضروا ... حنوطاً وأكفاناً وللماء قرّبوا

وغاسلك المحزون تبكى عيـونُه بدمعٍ غزيـرٍ واكفٍ يتصببُ
وكـل حبيب لُبُّـه متحـرقٌ يحرِّك كفيـه عليك ويندُبُ
لقد نشروا الأكفان من بعـد طيها لقد بخّـروا منشورهن وطيبـوا
وألقوك فيمـا بينهن وأدرجـوا عليـك مثانى طيهُن وعصّبوا
وفى حفـرةٍ ألقوك حيران مُفرداً تضمك بيداءٌ من الأرض سَبْسَبُ
إذا كـان هذا حالُنـا بعـد موتنـا فكيف يطيب اليـوم أكلٌ ومشربُ
وكيف يطيب العيشُ والقبر مسكنٌ فيـه ظلمـاتٌ غيهبٌ ثم غيهبُ
وهـولٌ وديـدانٌ ورَوعٌ ووحشة وكل جـديدٍ سـوف يَبلى ويذهبُ
فيا نفسُ خـافى الله وارجى ثوابـه فهـادمُ لذات الفتى سوف يقـربُ
وقولى إلـهى أَولنى منك رحمـةً وعفـواً فـإن الله للذنب يُذهِبُ
ولا تَحرقَنْ جسـى بنـارك سيـدى فجسمى ضعيفٌ والرجا منك أقربُ
فما لىَ إلا أنت يا خـالق الورى عليك اتكـالى أنت للخلـق َمهْربُ
وصـلِّ إلـهى كلمـا دَرّ شـارقٌ على أحمـد المختار ما لاح كوكبُ

٢- الصبر على البلاء:

إن الابتلاء سنة ماضية.... والمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأنه لا راحة إلا فى جنة الرحمن جل وعلا.

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)** ﴾ (العنكبوت: ١-٣)

- لقى الحسن رضى الله عنه رجلاً قائماً يدعو ويقول: اللهم ارضَ عنى. فقال له الحسن: لو رضيت أنت عن الله لرضى الله عنك. قال الرجل: وكيف أرضى عن الله؟ قال الحسن: إذا سُررت بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله فسوف

يرضى الله عنك.

- وقال ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»(١).

ولذلك لا بد أن تعلم يا أخى أن طريق الجنة هو الصبر.

- وقال ﷺ : «حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات»(٢).

والمكاره لا بد لها من الصبر.

- والخلاصة أن البلاء سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٥-١٥٧)

- وليكن عزاءك فى كل هذا أن سيد الأولين والآخرين ﷺ أوذى فى الله إيذاءاً شديداً فى الطائف وفى مكة، فتلك سُنّة الله فى خَلقه، أن الإنسان كلما ازداد إيماناً كلما اشتد عليه البلاء والإيذاء.

ولذا يقول النبى ﷺ : «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صُلباً اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رِقة ابتُلى على قدر دينه، فمايبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»(٣).

فما عليك يا أخى إلا أن تتسلى بأخبار الأنبياء والصالحين الذين صبروا على البلاء صبراً عظيماً، وما عليك إلا أن تتلمس حسن الجزاء المترتب على الصبر على البلاء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧). وفى قول النبى ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يُصب

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٦١٠).

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣١٢٦)، أخرجه البخارى بطرق (حُجبت...». صحيح الجامع (٣١٤٧) أخرجه مسلم بطرف (حُفت...).

(٣) رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجة عن سعد ـ صحيح الجامع (٩٩٢) ـ الصحيحة (١٤٣).

منه»[1] .

وقوله ﷺ : «إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط»[2] .

- فتشعر أنك بهذا الابتلاء أصبحت حبيباً للرحمن وتعلم أن الله قد أراد بك كل الخير بهذا الابتلاء وتوقن بأن الله قد أجزل لك العطاء فى قوله: ﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** (١٥٧) ﴾ (البقرة: ١٥٧).

فالمؤمن الواثق فى موعود ربه يتسلى فى مصيبته بعلمه أن الله سوف يجبر له كل مُصاب فى الجنة.

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ ... أبشر بخيرٍ فإن الفارج اللهُ
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسن فإن الكافىَ اللهُ
إذا بُليت فثق بالله وارض به ... فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ
الله يُحدث بعد العسر ميسرةً ... لا تجزعن فإن الصانع اللهُ
والله مَا لكَ غيرالله مِن أحدٍ ... فحسبُك الله فى كلٍ لك اللهُ

وأخيراً لا تنس معية الله لك أيها المُبتلَى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (البقرة:١٥٣).

- فها هو الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه الذى ملأ الدنيا علماً لما قال له أحد السلاطين: سمعت يا ابن تيمية أنك تريدُ مُلكى! فقال له ابن تيمية والله إن مُلكك وملك العرب والعجم لايساوى عندى جناح بعوضة، إنى منذ عقلت رشدى أريد جنةً عرضها السماوات والأرض.

فأمر الحرّاس فأخذوه إلى السجن فقال ابن تيمية «فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب».

ثم قال: ماذا يصنع بى أعدائى؟ والله أنا جنتى وبستانى فى صدرى، أنّى سرت فهى معى. أنا قتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة، وسجنى خلوة بينى وبين

(١) رواه البخارى وأحمد عن أبي هريرة ـ صحيح الجامع (٦٦١٠).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

ربى فالمأسور من أسره هواه والمحجوب من حُجِب عن ربه.

ثم مرض فى السجن فجاءه العُوّاد، فقالوا ألاتشتكى ياإمام؟

قال:

تموت النفوس بأوصابها ولم يدر عوّادها ما بها

وما أنصفت مهجةٌ تشتكى أذاها إلى غير أحبابها

ثم جلس يقرأ القرآن بضعاً وثمانين مرة وفى المرة الأخيرة وصل إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤، ٥٥).

ومات عند تلك الآية، فرحمة الله عليه وعلى أمثاله من العلماء العاملين.

دع الأيام تفعل ما تشاء وطِب نفساً إذا حكَم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلاً على الأهوال جَلداً وشيمتُك السماحة والوفاء

يغطّى للسماحة كل عيبٍ وكم عيبٍ يغطيه السخاء

فلا فقرٌ يدوم ولا غِناءٌ ولا بأس عليك ولا رخاء

إذا ما كنت ذا قلبٍ قنوعٍ فأنت ومالِك الدنيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرضٌ تقيه ولا سماء

وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

٨- الصدق فى العفة:

فالعفة هى أساس الفضائل من القناعة والزهد وغِنى النفس والسخاء وغيرها.

ولا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر.

واعلم أنه لا يكون المتعفف عفيفاً إلا بشرائط وهى ألا يكون تعففه عن الشىء انتظاراً لأكثر منه أو لأنه لا يوافقه أو لجمود شهوته أو لاستشعار خوفٍ من عاقبته أو لأنه ممنوع من تناوله أو لأنه غير عارف به لقصوره، فإن ذلك كله ليس بعفة بل هو إما اصطياد أو تطبب أو مرض أو عجز أو جهل. وترك ضبط النفس عن الشهوة أذمّ

من تركها عند الغضب ولهذا قيل: عبد الشهوة أذلّ من عبد الرِق[١].

وكما قال الشافعى رحمه الله:

عِفّواً تعفّ نساؤكم فى المحرمِ ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلمِ

يا هاتكاً سبلَ الرجال وقاطعاً ... سُبل المودة عشت غير مكرَّمِ

لو كنت حراً من سلالة ماجدٍ ... ما كنت هتّاكاً لحرمة مسلمِ

مَن يزنِ يُزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهمِ

مَن يزن فى بيت بألفى درهم ... فى بيته يُزنى بغير الدرهمِ

- واعلم أيها المسلم أنه كما تدين تدان.

روى أن رجلاً كان من بنى إسرائيل وكان رجلاً صالحاً لا يتطلع إلى الحرام فذهب فى يومٍ إلى حانوته (الدكان) فجاءته امرأة جميلة، فاشترت منه ولما أرادت أن تدفع له الثمن أمسك بيديها ثم فجأة تذكّر أنه على الله قادم وأنه بين يديه موقوف فتركها ورجع إلى بيته، فقالت له زوجته أريد أن أقص عليك شيئاً. قال: ما هو؟ قالت: إن الرجل الى يأتينا بالماء (السقّا) منذ عشرين سنة تجرأ اليوم على غير عادته وصعد البيت وأمسك بيدى ثم تركها، فتعجب زوجها وقال سبحان الله.... دقةٌ بدقةٍ ولو زِدتُ لزاد السقّا.

- ويزداد الأمر سوءاً إذا كان مَن يفعل تلك الفاحشة شيخٌ كبير لا حاجة له فى النساء.

ولذا يقول النبى ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. شيخ زانٍ وملك كذاب وعائل[٢] مستكبر»[٣].

- بل ويصورّ لنا النبى ﷺ عذاب الزُناة فى قبورهم.

- قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى فانطلقت معهما، فإذا بيت

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، (ص ٣١٨، ٣١٩).

(٢) العائل هو الفقير.

(٣) رواه مسلم والنسائى عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٠٦٩).

مبنىٌ على مثل بناء التنور ومن أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقَد تحته نار فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أُخمدت رجعوا فيها، فقلت: مَن هؤلاء؟ قال: هم الزناة»[١].

فلا بد يا إخوانى أن نَصْدُق فى طلب العفة فى كل شىء (فى الرزق - فى الزواج.......».

ولا نطلب المعونة إلا من الله، فإن الله هو الذى يملك خزائن السماوات والأرض.

- فاترك المعاصى واعكف على كتاب الله وسوف يسوق الله لك الرزق من حيث لا تحتسب ويسوق إليك زوجة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك.... ويسوق أيضًا للأخت المسلمة زوجًا صالحًا يعينها على أمر دينها ودنياها.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣)

- ولا تنس أن النبى ﷺ قد زوّج رجلاً بما معه من القرآن[٢].

- وأخيراً استمع يا أخى لتلك القصة التى تُعلّمنا أن من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه.

- يُحكى أنه كان رجل اسمه المبارك كان عبداً رقيقاً لرجل غنى اسمه نوح بن مريم، فطلب منه سيده أن يذهب ليحرس البساتين التى يملكها فذهب.

وبعد عدة شهور ذهب نوح ليتفقد أحوال البساتين ومعه مجموعة من أصحابه، فقال للمبارك: ائتنى برمّان حلو وعنب حلو، فقطف له رمانات ثم قدمها إليهم، فإذا هى حامضة وكذلك العنب، فقال له نوح: يا مبارك ألا تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لم تأذن لى يا سيدى أن آكل منه حتى أعرف الحلو من الحامض.

فتعجب الرجل وقال أما أكلت شيئاً وأنت هنا منذ شهور؟. قال المبارك: لا والله ما ذقت شيئاً ووالله ما راقبتك ولكنى راقبت ربى، فتعجب سيده من تلك العفة، ومن هذا الورع وظن فى البداية أنه يخدعه، فلما سأل الجيران قالوا ما رأيناه يأكل شيئاً

(١) متفق عليه عن سمرة بن جندب مطولاً ـ صحيح الجامع (٣٤٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

أبداً، فتأكد من صدقه وورعه وعفته.

فقال يا مبارك أريد أن أستشيرك فى أمرٍ عظيمٍ، قال: ما هو يا سيدى؟.

قال: إن لى ابنة واحدة ولقد تقدَّم لها فلانٌ وفلانٌ وفلان (من الأثرياء) رغبة فى زواجها.... فيا تُرى لمن أزوجها؟.

قال له المبارك: يا سيدى إن اليهود يزوجون للمال، والنصارى يزوجون للجمال، والعرب يزوجون للحسب والنسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أى الأصناف أنت زوّج ابنتك للصنف الذى أنت منه؟.

فقال نوح: والله لا شىء أفضل من التقوى، ووالله ما وجدت إنساناً أتقى لله منك، فقد أعتقتك لوجه الله وزوجتك ابنتى.

فسبحان الله، عفّ المبارك عن رمّانة من البساتين، فساق الله إليه البستان وصاحبة البستان، والجزاء من جنس العمل، ومَن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه، فكانت النتيجة أن هذه المرأة أنجبت من المبارك ولداً أتدرون مَن هو؟ إنه شيخ الإسلام عبدالله ابن المبارك!!!!

٩- الصدق فى طلب العلم:

- يقول ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»(١).

- ونعمة العلم من أعظم النِعم، ولذا فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يطلب المزيد منه، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه: ١١٤).

- بل إنه من عظمة العلم والعلماء وقدرهم عند الله جل وعلا أنه أشهدهم على أعظم شهادة ألا وهى شهادة التوحيد لله، فبعد أن شهد الله جل وعلا بتلك الشهادة العظيمة ثنّى فى الشهادة بالملائكة ثم بشهادة أولى العلم.

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران: ١٨).

- بل إن من أشد الناس خشية لله هم العلماء.

---

(١) متفق عليه عن معاوية ـ صحيح الجامع (٦٦١١).

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨).
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩).
﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: ١١).

- بل إن النبى ﷺ لم يأذن بالحسد إلا فى حالتين (الحسد هنا بمعنى الغبطة).

- فقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين - وكان منهما - ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»(١).

- وللعلماء منزلة عظيمة عند الله، فلقد جعلهم الله أولى الأمر الذين يُرجع إليهم فقال تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

- قال جابر وابن عباس: المقصود بأولى الأمر هم العلماء والفقهاء.

- بل أوجب علينا الرجوع إليهم وأوجب علينا أن نرجع إليهم فى النوازل فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣)

واعلم يا أخى بأن طلب العلم هو من أقرب الطرق لدخول الجنة.

- قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة(٢).

- وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومَن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(٣).

- فهل هناك أعظم مما قاله النبىَ ﷺ عن فضل طلب العلم؟ ألا يكون ذلك حادياً لك لتطلب العلم؟

(١) متفق عليه عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٧٤٨٨).
(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٨).
(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن عن أبى الدرداء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٧).

- ولكن عليك ياأخى أن تَصْدُق مع الله فى طلب العلم وفى تبليغ هذا العلم. فلا تتعلم العلم لتباهى به العلماء أو لتمارى به السفهاء، ولكن لتتعبد به لله أولاً ثم لتدعو الناس إلى رب العالمين ممتثلاً قول النبى ﷺ «فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم»(١).

فتقوم وتُبلِّغ دين الله على قدر علمك، فإنه لا عذر لك أمام الله إن تكاسلت عن دعوة الناس إلى دين الله.

فقد قال ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية وحدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

- واعلم أن من تمام نعمة الله عليك أنك تُحصِّل الأجر على طلب العلم وتبليغ العلم فى حياتك وبعد موتك.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس: ١٢).

- ويقول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٣).

- وإذا كنا نتكلم عن العلم فلا بد أن نعلم أننا نتكلم عن العلم الذى يبعث على العمل حباً لله وخشية من الله **﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾**.

قال قتادة فى تفسيرها: «وإنه لذو عمل بما علمناه».

- وقال ﷺ: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى فى النار فتندلق أقتابه (الأمعاء) فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(٤).

- وقال ﷺ: «مَن تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد ـ صحيح الجامع (١٥١١).

(٢) رواه البخارى عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٢٨٣٧).

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٧٩٣).

(٤) متفق عليه عن أسامة بن زيد، ورواه أحمد ـ صحيح الجامع (٨٠٢٢) الصحيحة (٢٩١).

به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم»(١).

- وقال ﷺ: «مَن تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عوضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»(٢).... أى لم يجد ريح الجنة.

كالعيــــر فى البيــــداء يقتلها الظمــأ
والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــولُ

كحامـــل لثيـــاب النـــاس يغسـلها
وثوبـــه غـــارقٌ فى الرجــس والنجَسِ

ترجـــو النجـاة ولم تسـلك مسـالكها
إن الســفينة لا تجــرى على اليَبَــسِ

ركوبـــك النعــش يُنســيك الركـوب
على ما كنت تركـب من عيرٍ ومـن فرسِ

يـــوم القيامـــة لا مـــالٌ ولا ولـــدٌ
وضمـــة القبـــر تُنســى ليلة العـرسِ

ابدأ بنفســك فانهـــها عـــن غيهـــا
فإذا انتهـــت عنـــه فأنـــت حكيـــمُ

فهـــناك ينفـــع ما تقـــول ويُشـــتفى
بالوعـــظ منـك وينفـــع التعليـــمُ

لا تنـــه عـــن خُلُـــقٍ وتـأتـى مثـــله
عـــارٌ عليـــك إذا فعـــلت عظيـــمُ

- ولذا كان من دعاء النبى ﷺ:

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٥٨).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٥٩).

- «اللهم إنى أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها» (١).

- ولذا يقول أحد العلماء إن الإسلام اليوم فى أشد الحاجة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية، فنحوّل الإسلام إلى واقعٍ عملى ممتثلين فعل النبى ﷺ، وأصحابه الذين كانوا يطبقون الإسلام فى كل صغيرة وكبيرة.

لأن الواقع يشهد بكل أسف أن الكثير ممن تعلموا العلم حينما تتعامل معهم فى الدرهم والدينار تجدهم على غير هدى النبى ﷺ وأصحابه فتجد الواحد منهم (إلا من رحم الله) يتحوَّل إلى وحشٍ كاسر لا تجد فيه عفة المسلمين ولا خُلق المسلمين ولا أمانة المسلمين فى كل زمان ومكان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- فيا إخوانى اطلبوا العلم واعملوا بما علمتم واسعوا فى الدعوة إلى الله ولا تفتروا عنها وأخلصوا فى طلب العلم وفى تبليغه.

فكم من مذكِّرٍ بالله ... وهو ناسٍ لله
وكم من داعٍ إلى الله ... وهو فارٌ من الله
وكم من مقرِّب إلى الله ... وهو بعيد عن الله
وكم من تالٍ لآيات الله ... وهومنسلخ من كتاب الله

- فاعلموا أن العلم أمانة ولا بد أن نطلبه بأمانة ونبلّغه بأمانة.

- واستمعوا للإمام البخارى حين يُخبر أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه وهو يشير إليها برداء كأن فيه شعيراً فجاءته فأخذها، فقال البخارى أكان معك شعيراً؟ فقال الرجل: لا، ولكن أوهمتها، فقال البخارى لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم.

فكان هذا مثلاً عالياً فى مجرى الصدق(٢).

---

(١) رواه مسلم عن زيد بن أرقم ـ والترمذى والنسائى عن ابن عمر وأبو داود عن أبى هريرة والنسائى عن أنس ـ صحيح الجامع (١٢٩٧).

(٢) منهاج المسلم، (ص ١٤٥).

- وأخيراً إياك يا أخى الكريم أن تكتم العلم أو أن تخشى أن تقول كلمة الحق.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)﴾ (البقرة: ١٧٤).

- وقال ﷺ: «مَن سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[١].

١٠- الصدق فى التوكل:

التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة.

- ووالله إن الأمة الإسلامية قد ذلت بعد عزة وافتقرت بعد غنى، وضعفت بعد قوة وجهلت بعد علم لأنها تركت التوكل على ربها، وذهبت تلتمس العزة عند الشرق الملحد تارة وعند الغرب الكافر تارة ونسيت أنه لا يملك خزائن السموات والأرض إلا الله، ونسيت قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)

فالعز فى كَنفَ العزيز   ومن عَبَدَ العبيد أذله الله

- وفى الحديث قال النبى ﷺ: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[٢].

- فهل جنَّدت نفسك أيها الأخ الكريم لتكون واحداً من هؤلاء.

- يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

---

(١) أخرجه أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) أخرجاه فى الصحيحين، أخرجه البخارى عن ابن عباس، وأخرجه مسلم عن عمران بن حصين وعن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٨٠٧١).

قال المفسرون: إن هذه الآية عامة وقد نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى. أسر المشركون ابنه فأتى النبىﷺ وشكا إليه الفاقة وقال إن العدو أسر إبنى وجزعت أمه فما تأمرنى قالﷺ : اتق الله وإصبر وآمرك واياها أن تستكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل هو وامرأته فبينا هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت الآية ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** . . . .﴾[1] .

قالﷺ «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً»[2] .

- فانظر لهذا الطير الضعيف الذى لايملك من أسباب الرزق الا القليل ولكنه متوكل على الله يسبحّ بحمده ليلاً ونهاراً. . . . كما قال الحق جل وعلا: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** (٤١)﴾ (النور: ٤١).

- فها هو الطير الضعيف يتوكل على الله ولا ينشغل عن طاعة الله - وفى المقابل- هاهم الكثير من بنى جلدتنا من الذين أكرمهم الله بنعمة الإسلام قد هجروا التوكل على خالقهم فتركوا الصلوات وتركوا طاعة رب الأرض والسموات خوفاً من الانشغال عن الأرزاق ولا حول ولا قوة الا بالله.

- أتخشى أيها المسلم على الرزق الذى قدّره الله قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

قالﷺ «فرغ الله عز وجل إلى كل عبد من خمس: من أجله، ورزقه، وأثره، ومضجعه، وشقى أو سعيد»[3] .

وفى رواية مسلم «كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسير الآية بلفظ: وقال السدى.. وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ .. وساق القصة.. رواه ابن جرير ـ وروى أيضًا من طريق سالم بن أبى الجعد مرسلاً نحوه.

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٣) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٠١).

بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[١].

- فيا من تخشى على الأرزاق استمع لتلك القصة لتعلم من الذى يرزق ومَن الذى يجب أن تُفرده بالعبادة.

- يقول أحد العلماء والله لقد رأيت ثعباناً أعمى يعيش فوق نخلة عالية ويأتيه بين الوقت والآخر عصفور صغير فيقف عند هذا الثعبان ويُصدر له أصواتاً فيفتح الثعبان فمه فيلقى العصفور الطعام فى فم الثعبان الأعمى !!! فمن الذى سخّر هذا العصفور لذاك الثعبان؟ ومن الذى جعل الثعبان لا يفترس العصفور؟! إنه رب السموات والأرض الذى يرزق الدود فى بطن الحجر.

وها هى أم موسى عليه السلام يقول: الحق تبارك وتعالى عنها ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ**﴾ فماذا تصنع؟ ﴿**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)**﴾ (القصص: ٧).

فما كان منها إلا أن انقادت لأمر الله وهى واثقة فى موعود الله. فماذا كانت النتيجة؟

- يتربى موسى عليه السلام فى بيت عدو الله فرعون... قال الله تعالى مصوراً تلك الحالة: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**﴾ (طه : ٣٩) فيقذف الله محبته فى قلوب الناس فما من إنسان يراه الا ويحبه من كل قلبه وهذا من تمام نعمة الله عليه.

ثم يتحقق موعود الله ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)**﴾ (القصص ١٢: ١٣).

وتتحقق البشارة الثانية ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)**﴾ (القصص: ١٤).

- فكانت أم موسى مثالاً عظيماً لليقين والتوكل على الله والثقة فيما عند الله جل وعلا.

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمرو، باب كتب المقادير قبل الخلق، كتاب القدر ـ صحيح الجامع (٤٤٧٤).

- بل إن موسى عليه السلام لما أدركه فرعون عند البحر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء ٦١)، فقال لهم بلسان التوكل والثقة بنصر الله ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء ٦٢)، فكانت ثمرة التوكل تأتيه فى التو واللحظة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء٦٣)، الله أكبر!! من أطاع الله طوّع الله له كل شئ.

- البحر ينفلق وليس ذلك فحسب بل يجعل الله لهم فى البحر اثنى عشر طريقاً(١) لكى تمر كل قبيلة من طريقها وتنجو من بطش فرعون.

- حتى إن أصحاب موسى عليه السلام أرادوا أن يتأكدوا من موت فرعون فأمر الله البحر أن يلفظ جسد فرعون بعد غرقه وموته وفى ذلك يقول الله جل وعلا ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس ٩٢)

- وها هو صلة بن أشيم كما أورد الذهبى فى سير أعلام النبلاء وقال هذه قصة ثابته عن صلة بن أشيم .هذا التابعى المخضرم لما كان فى طريق عودته من إحدى المعارك مات فرسه فقال اللهم لا تجعل لأحد علىَّ منّه (أى فضل) فإنى استحيى أن أسأل غيرك فأحيا الله له الفرس فركبه ولما وصل إلى بيته قال لابنه محمد: يابنى إنزع السَرَج من على الفرس فإنها عارية (أى أننى استعرتها من الله) فنزع السَرَج فمات الفرس!!!

- وها هم أصحاب النبى ﷺ لما حققوا التوكل على الله ساروا على الأنهار بخيولهم... بل وخاطبوا دواب الأرض حتى وقف عقبة بن نافع على أبواب مدينة القيروان وقال أيتها الدواب أيتها الأُسود إنّا أصحاب محمد ﷺ جئنا لنُعلى كلمة لا إله إلا الله فأفسحوا لنا الطريق فخرجت الأسود بولدانها وخرجت الحيّات والعقارب!!! وكل ذلك لأنهم علموا أن لهم رباً قد تكفل بالأرزاق، بل هو المالك والمتصرف فى الكون كله، فهو الواحد الديان الذى قال وقوله الحق.

﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾ (المزمل ٩)

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسير لسورة الشعراء.. الآية (٦٣)، هكذا: وقال ابن عباس: صار البحر اثنى عشر طريقًا لكل سبط طريق.. ولم يذكر ابن عباس فى حديثه الموقوف المسند (حديث الفتون) تعدد الطرق. وقال ابن كثير: كأنه مما أبيح نقله من الإسرائيليات.

- ولذا كان من دعاء النبى ﷺ «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إنى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت والجن والإنس يموتون» (١).

وعن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين أُلقى فى النار وقالها: محمد حين قالوا: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» (٢).

وروى أن حاتم الأصمّ قال لأولاده: إنى أريد الحج.... فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟. وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق.... فخرج فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت فقالت: اللهم لا تخجلنى بينهم.... فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء... فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى فليصنع مثلما صنعت.... فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء فجعلت البنت تبكى فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسّع الله علينا... فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرةً فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟.

الصدق والتوكل وطريقنا إلى المسجد الأقصى

إن الشواهد والعقائد والتاريخ الإسلامى ليُقر لنا بحقيقةٍ واحدة ألا وهى أنه لا طريق إلى عودة المسجد الأقصى إلا بالصدق مع الله وتحقيق التوكل الكامل على الخالق جل وعلا.

-واستمعوا لتعرِفوا وتوقنوا بتلك الحقيقة الثابتة التى لا تتبدل ولا تتغير.

- ها هو موسى عليه السلام لما أراد أن يدخل بقومه لتحرير الأرض المقدسة أخذ يذكّرهم أولاً بنعِم الله عليهم فقال ﴿**يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)**﴾ (المائدة ٢٠).

---

(١) متفق عليه عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (١٣٠٩).

(٢) رواه البخارى عن ابن عباس موقوفًا عليه برقم (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

ثم بعد ذلك وضع أمامهم التكليف الربّانى ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)** ﴾ .

(المائدة ٢١ , ٢٢)

وفجأة قام رجلان أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان والتوكل وهما ـ يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ـ وقالا إن سلاحكم العظيم الذى ستفتحون به المسجد الأقصى هو التوكل على الله ﴿ **قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** ﴾. فما هو السلاح الذى يحقق لهم هذا الفتح؟ ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (المائدة ٢٣).

وعلى الرغم من ذلك قالوا ﴿ **يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ فكانت العقوبة من الله لبنى إسرائيل ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (المائدة ٢٦)

- وكان الجزاء والأجر العظيم ليوشع ين نون أنه بعد وفاة موسى عليه السلام أقام يوشع نبياً خليفة عن موسى عليه السلام، ومات أكثر بنى إسرائيل فى تلك الفترة (التيه) ويُقال أنه لم يبق أحد سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع أو بمن بقى منهم وبسائر الجيل الثانى فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة وبعد العصر فلما تضيفت الشمس للغروب وخشى دخول السبت عليهم قال يوشع للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علىَّ. . . فحَبسها الله حتى فتحها ودخل منتصراً فهذا هو جزاء التوكل ولذا قال النبى ﷺ : «ماحُبست الشمس على بشرٍ قط إلا على يوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس»(١).

- فيا أمة الإسلام لا طريق للمسجد الأقصى إلا بالصدق مع الله وتحقيق التوكل على الحى الذى لا يموت ولا يغرنّكم تكالب اليهود ولا ما يملكون من السلاح

(١) أخرجه الخطيب البغدادى وأحمد وابن عساكر عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٥٦١٢).

والعتاد فإن كلمة (الله أكبر) لا يقف أمامها الصواريخ والدبابات والطائرات ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ (الأنفال ١٧).

- واعلموا اننا جميعاً سنُسأل أمام الله عن تضييع تلك الأمانة وترك المسجد الأقصى فى أيدى اليهود... ولا عذر لنا عند الله فلا بد أن نسعى لإعادة المسجد الأقصى.

- وقد تكفل الله لنا بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.

- فيا أحفاد عمر وصلاح الدين لا تنسوا المسجد الأقصى.

إنـى تذكّـرت والذكـرى مؤرقـةٌ ... مجـداً تليـداً بأيدينـا أضعنـاه

أنّـى اتجهت إلى الإسلام فى بلـدٍ ... تجده كالطير مقصوصاً جَناحـاه

كم صـرَّفتنا يـدٌ كنـا نصرّفهـا ... وبات يملكنـا شـعب ملكنـاه

استرشـد الغـرب بالماضى فأرشده ... ونحـن كان لنـا مـاضٍ نسـيناه

إنا مشـينا وراء الغـرب نقـبس ... مـن ضـيائه فأصـابتنا شـظاياه

بالله سل خلف بحر الروم عن عربٍ ... بالأمـس كانوا هنـا واليـوم قد تاهوا

وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها ... عمـن بناه لعـل الصـخر ينعـاه

هذى معالـم خـرسٌ كل واحـدة ... منهـن قامـت خطـيبًا فاغـراً فاه

الله يعلـم ماقلبـت سـيرتهم ... يومـا وأخطـأ دمـع العين مجراه

يامـن يـرى عُمَـراً تكسوه بُردته ... والزيـت أُدْمٌ له والكـوخ مـأواه

يهتـز كسـرى على كرسـيه فَرَقاً ... من خـوفه وملـوك الروم تخـشاه

يارب فابعـث لنـا من مثلهم نفراً ... يشـيدون لنـا مجـداً أضعناه

١١- الصدق فى التوبة

قسّم الله الناس إلى قسمين تائب وظالم فقال ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾.

فإلى متى يظل الإنسان بعيداً عن ربه ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ**

يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) ﴾(النساء ٢٧)

- إنها دعوة من الله لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾(النور ٣١)

أيا عبدُ كم يراك الله عاصيا ... حريصاً على الدنيا وللموت ناسيا

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ... ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا

لو أن المرء لم يلبس ثياباً من التُقى ... تجرد عُرياناً ولو كان كاسيا

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حياً وباقيا

لكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعةً وتسعينَ نفسًا، فهل له من توبةٍ، فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائةً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجُلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ الموتُ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكةُ العذابِ: إنه لم يعمل خيرًا قطُّ، فأتاهم ملكٌ فى صورةِ آدميٍّ فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكةُ الرحمة. قال قتادة: فقال الحسنُ: ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموتُ نأى بصدره. وفى رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقربى، وأوحى إلى هذه: أن تباعدى. وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له»(١).

(فسبحان الله) يُسخِّر الله عز وجل الأرض كلها بجبالها وأنهارها وكل ما عليها لكى تتحرك من أجل تائبٍ واحد فكيف لو تاب المسلمون جميعاً؟!!!

(١) أخرجه مسلم عن أبى سعيد ــ كتاب التوبة ــ باب: قبول التوبة ممن قتل مائة نفس.

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ٩٦)

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ (نوح ١٠، ١٢)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ (الزمر ٥٣)

هكذا يقول الحق جل وعلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ .

على الرغم من أنه يقول فى آية أخرى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء ٤٨)[١] .

فقال الله (جميعاً) فى الآية الأولى حتى لايأتى إليك الشيطان ويقنّطك من رحمة الله ويقول لك إن هذا الذنب الذى فعلته لا يُغفر ويحاول أن يُبعدك عن التوبة والرجوع إلى الله جل وعلا.

يقول الله جل وعلا: «يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ــ أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا ــ ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[٢] .

وقال ﷺ : «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال ــ من شدة الفرح ــ اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة

(١) إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ومن مات على الإسلام ولم يتب فهو فى مشيئة الله، إما أن يتوب عليه، وإما أن يعذبه ثم مرده إلى الجنة ــ إن الله لا يغفر أن يشرك به، أى لمن مات على الشرك، أما من كان مشركًا ثم تاب حال حياته توبة نصوحًا فإن الله يغفر له ويتقبله، والله أعلم.

(٢) رواه الترمذى والضياء عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

الفرح» (١).

-ولقد كان المعصوم ﷺ يقول: «إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة» (٢).

ويقول ابن عمر: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول: «رب اغفر لى وتب علىَّ انك أنت التواب الغفور» (٣).

- وهو مَن هو! هو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

- فلا بد أن تسرع ياأخى بالتوبة والإنابة إلى الله قبل أن يداهمك الموت فجأه فتصرخ وتقول ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون: ٩٩: ١٠٠) فيقال لك «كلا»

- فأنت الآن فى الدنيا فاغتنم الأوقات والساعات فى طاعة رب الأرض والسماوات

كما قال النبى ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك» (٤).

- فعليك ألا تجعل ساعة واحدة تمرّ من عمرك إلا فى طاعة الله.

ولذا لّما جاء رجل إلى سفيان الثورى فقال له لقد ابتُليت بمرض البُعد عن الله وأريد أن أتقرب إلى الله وأغتنم عمرى فى طاعة الله فقال له سفيان: يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع؛ ثم ضع هذا كله فى إناء التقوى، وصُبّ عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن، وصفّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع

(١) متفق عليه عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٥٠٣٣) وأخرجه مسلم عن أنس ـ صحيح الجامع (٥٠٣٠) ومتفق عليه عن أنس باختصار ـ صحيح الجامع (٥٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى عن الأغر المزنى ـ صحيح الجامع (٢٤١٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١٦) والترمذى (٣٤٣٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ـ ابن ماجة (٣٨١٤) وقال الألبانى فى صحيح السنن ـ صحيح.

(٤) أخرجه الحكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (١٠٧٧).

تُشفى من مرضك بإذن الله.

- فاحرص على طاعة الله يأخى واعلم أنك لو عشت آلاف القرون فلا بد لك من لقاء الله والوقوف بين يديه

لو عـاش الفتى فى دهـرِه ألفاً من الأعوام مالك أمرِه
متنعمـاً فيـه بكل نفيسةٍ متلذذاً فيه بنُعمـى عصـره
لا يعتـريه السقم فيها مرة كـلا ولا تَرِد الهـموم بباله
ما كان هذا كله فى أن يفى بمبيـت أول ليلةٍ فى قبـره

وها هو الحسن البصرى وجد رجلاً لا يصلى ولا يصوم، بل إنه عاكفٌ على فعل الموبقات، فأراد الحسن أن يذكّره بالله جل وعلا فأخذ هذا الرجل وسار معه فى الطريق فمرّت جنازة فنظر الحسن إليها وقال للرجل: أيها الرجل أرأيت لو أن الله أحيا هذا الميت فعاد إلى الدنيا فيا تُرى ماذا سيصنع؟ قال له الرجل: سيكون أفضل الناس صلاةً وزكاةً وصياماً وبراً للوالدين وأحسن خُلُقاً... فقال الحسن فليكن هو أنت وقد أحياك الله الآن فاصنع ما قلت!!.

- وروى أنه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه فقالوا يا كليم الله! إدع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون فقال موسى عليه السلام إلهى... اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضّع والبهائم الرتّع والمشايخ الركع فما زادت السماء إلا تقشعاً والشمس إلا حرارة! فتعجب نبى الله موسى فأوحى الله إليه وقال يا موسى فيكم عبدٌ يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة فنادِ فى الناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم(١).

فقال موسى: إلهى وسيدى أنا عبد ضعيف وصوتى ضعيف فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه منك النداء ومنى البلاغ... فقام منادياً وقال يا أيها العبد العاصى الذى يبارز الله بالذنوب والمعاصى منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا فبك مُنعنا المطر... فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير

(١) أى بسببه منعت عنكم الخير؛ لأنكم لم تأمروه بالمعروف ولم تنهوه عن المنكر.

أحداً خرج فعلم أنه المطلوب وقال فى نفسه إن أنا خرجت من بين هذا الخلق إفتُضحت على رؤوس بنى إسرائيل وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلى... فأدخَل رأسه فى ثيابه نادماً على فعاله وقال: إلهى وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى وقد أتيتك طائعاً فاقبلنى... فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب فقال موسى: إلهى وسيدى بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال يا موسى سقيتكم بالذى منعتكم. فقال موسى إلهى أرنى هذا العبد الطائع التائب. فقال: ياموسى إنى لم أفضحه وهو يعصينى أأفضحه وهو يطيعنى!(١)

توبة الفضيل بن عياض

عن رجل من جيران الفُضَيل بن عِياض، قال:

كان الفُضَيْل يقطع الطريق وحدَه فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإنَّ أمامنا رجلاً يقطع الطريق يُقال له: الفُضيل. قال: فسمع الفضيل، فأرعد، فقال: يا قوم! أنا الفضيل، جُوزُوا، والله لأجتهدن أن لا أعصىَ الله أبداً! فرجع عما كان عليه.

وروى من طريق أخرى أنَّه أضافَهم تلك الليلة؛ وقال: أنتم آمنون من الفُضيل. وخرج يرتادُ لهم علفاً؛ ثمّ رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ (الحديد: ١٦). قال: بلى والله قد آن. فكان هذا مبتدأ توبته.

وقال إبراهيم بنُ الأشعث: سمعت فُضَيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكى ويردد هذه الآية ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)**﴾ (محمد: ٣١) وجعل يقول: ﴿**وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ ويردد ويقول إن بلوت أخبارنَا! فضحتنا وهتكت أستارنا! إنْ بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذّبتنا!

وسمعته يقول: تزّينتَ للناس وتصنّعتَ لهم وتهيأتَ لهم، ولم تزل تُرائى حتى عرفوك فقالوا: رجلٌ صالح! فقضواْ لك الحوائج، ووسَّعوا لك فى المجلس، وعظَّموك. خيبةٌ لك؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك!

---

(١) مختصر كتاب التوابين لابن قدامة، (ص ٨٦، ٨٧).

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعلْ؛ وما عليك أن لا تُعرَف، وما عليك إن لم يُثنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً.

توبة مالك بن دينار

ورُوى عن مالك بن دينار أنّهُ سُئل عن سبب توبته، فقال: كنت شُرَطيّاً وكنت منهمكاً على شرب الخمر. ثم إننى اشتريتُ جارية نفيسة؛ ووقعت منى أحسنَ موقع، فولدت لى بنتاً. فشغفتُ بها، فلما دبَّت على الأرض ازدادت فى قلبى حباً، وألفتنى وألفتها. قال: فكنت إذا وضعتُ المسكر بين يدىَّ جاءت إلىَّ وجاذبتنى عليه وهرقته من ثوبى، فلمّا تمَّ لها سنتان ماتت؛ فأكمدنى حزنُها. فلمّا كانت ليلةُ النصف من شعبان، وكانت ليلة الجمعة، بتّ ثَمِلاً من الخمر؛ ولم أصلِّ فيها عشاء الآخرة. فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونُفخ فى الصّور، وبُعثرت القبور، وحُشر الخلائق، وأنا معهم، فسمعت حساً من ورائى، فالتفتّ، فإذا أنا بتنِّين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوى. فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً. فمررت فى طريقى بشيخ نقىَّ الثوب طيِّب الرائحة؛ فسَلمت عليه فردّ السلام فقلت: أيها الشيخ! أجرنى من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لى أنا ضعيف وهذا أقوى منى وما أقدر عليه؛ ولكن مُرَّ وأسرعْ فلعل الله أن يتيحَ لك ما ينجيك منه. فولّيتُ هارباً على وجهى، فصعدتُ على شُرُفٍ من شُرَف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرتُ إلى هولْها، وكدت أهوى فيها من فزع التِّنين؛ فصاح بى صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى. فأتيت الشيخ فقلت: ياشيخ! سألتك أن تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل. فبكى « الشيخ، وقال: أنا ضعيفٌ ولكن سِر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك. قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخربّة وستور معلقة، على كلّ خوخة وكُوّة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصَّلة باليواقيت مكوكبة بالدّر؛ على كل مصراع سِتر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل ولّيت إليه هارباً والتنين من ورائى؛ حتى إذا قربت منه صاح بعضُ الملائكة: ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعةٌ تجيره من عدوِّه، فإذا الستور قد رُفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف علىَّ من تلك المخرَّمات

أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين منى، فتحيرت فى أمرى. فصاح بعض الأطفال: ويحكم! أشْرِفُوا كلكم فقد قرب منه عدوه. فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابنتى التى ماتت قد أشرفت علىّ معهم. فلمّا رأتنى بكت وقالت: أبى واللّه! ثم وثبت فى كفة من نور كرَمية السهَم حتى مَثَلَت بين يدَّى. فمدت يدها الشمال إلى يدى اليمنى فتعلقت بها، ومدّت يدها اليمنى إلى التنين فولّى هارباً.

ثم أجلستنى وقعدت فى حجْرى وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتى، وقالت: ياأبتِ **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** (الحديد: ١٦)، فبكيتُ وقلت: يابُنيّة وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: ياأبت! نحن أعرفُ به منكم. قلت: فأخبرينى عن التنين الذى أراد أن يهلكنى. قالت: ذلك عملُك السّوء قوّيته فأراد أن يغرقك فى نار جهنم. قلت: فأخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى. قالت: يا أبت! ذلك عملُك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء. قلت: يا بُنيه! وما تصنعون فى هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم السّاعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفعَ لكم.

قال مالك: فانتبهت فزعاً وأصبحتُ فأرقت المُسكر وكسَّرتُ الآنية وتبت إلى الله - عزّ وجلّ -. وهذا كان سبب توبتى[1].

-وها أنا أقول لكم يا إخوانى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾!!!

- أما عن شروط التوبة:

قال الإمام النووى فى رياض الصالحين: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط

أحدها: أن يُقلع عن المعصية

والثانى: أن يندم على فعلها

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فَقَد أحد الثلاثة لم تصحّ توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق

(١) مختصر كتاب التوابين لابن قدامة، (ص ٢٠٩ ـ ٢١٤).

صاحبها فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكنّه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى.

١٢- الصدق فى الزهد

يقول الإمام ابن القيم فى كتاب الفوائد:

واعلم بأن الزهد أقسام: زهد فى الحرام، وهو فرض عين. وزهد فى الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإنْ قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً. وزهد فى الفضول. وزهد فيما لا يعنى من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد فى الناس. وزهد فى النفس بحيث تهون عليه نفسه فى الله. وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفى كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعَبُه الزهدُ فى الحظوظ.

والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، والورعُ ما يُخشى ضرره فى الآخرة. والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائى بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً، ورجل يرغب فى صحبة المخلوقين ومودّتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودّته.

واعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شئ ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً فى نفسه، لم يسمّ زاهداً، كمن ترك التراب لا يُسمى زاهداً.

وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا، ومن زهد فى كل شئ سوى اللّه تعالى، فهو الزاهد الكامل، ومن زهد فى الدنيا مع رغبته فى الجنة ونعيمها، فهو أيضاً زاهد، ولكنه دون الأول.

واعلم: أنه ليس من الزهد ترك المال، وبذله على سبيل السخاء والقوة، واستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة الى نفاسة الآخرة.

ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدُر يبقى، قويت رغبته فى بيع هذه بهذه. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النساء: ٧٧) وقوله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦).

ومن فضيلة الزهد قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (طه: ١٣١).

وقال رسول الله ﷺ : «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة. ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدّر له»(١).

وقال الحسن: يحشر الناس عراة ما خلا أهل الزهد، وقال: إن أقواماً أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب، . . . فأهينوها، فأهنأ ما تكون إذا أهنتموها.

وقال الفضيل: جُعل الشر كله فى بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله فى بيت، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا.

وكان بعض السلف يقول: الزهد فى الدنيا يُريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن.

وأما عن **درجات الزهد وأقسامه:**

فمن الناس من يزهد فى الدنيا وهو لها مُشتهٍ، لكنه يجاهد نفسه، وهذا يُسمى: المتزهد، وهو مبدأ الزهد.

الدرجة الثانية: أن يزهد فيها طوعاً لا يكلف نفسه ذلك، لكنه يرى زهده ويلتفت إليه، فيكاد يُعجب بنفسه، ويرى أنه قد ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه، كما يترك درهماً لأخذ درهمين، وهذا أيضاً نقصان.

الدرجة الثالثة: وهى العليا أن يزهد طوعاً، ويزهد فى زهده، فلا يرى أنه ترك شيئاً، لأنه عرف أن الدنيا ليست بشئ، فيكون كمن ترك خرقة ـ قماشة بالية ـ وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معارضة، فإن الدنيا بالاضافة إلى نعيم الآخرة، أحسن

(١) رواه الترمذى عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٠) ـ الصحيحة (٩٥٠).

من خرقة بالإضافة الى جوهرة، فهذا هو الكمال فى الزهد.

واعلم: أن مثل من ترك الدنيا، مثل من مَنَعه عن باب الملك كلب على بابه، فألقى إليه لقمه من خبز فشغله بذلك ودخل، فقرب من الملك، أفَتراه يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة ألقاها الى كلبه فى مقابلة ما قد ناله؟

فالشيطان كلب فى باب الله عز وجل، ويمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح، والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة، فمن تركها لينال عز الملك، فكيف يلتفت إليها؟ ثم إن نسبتها، أعنى ما سلم لكل شخص منها ولو عمَّر ألف سنة بالإضافة الى نعيم الآخرة، أقل من لقمة بالإضافة الى ملك الدنيا، لأن الفانى لا نسبة له الى الباقى، كيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة؟

* وأما **أقسام الزهد** بالإضافة الى المرغوب فيه، فعلى ثلاث درجات:

أحدها: الزهد للنجاة من العذاب، والحساب، والأهوال التى بين يدى الآدمى، وهذا زهد الخائفين.

الدرجة الثانية: الزهد للرغبة فى الثواب، والنعيم الموعود به، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء تركوا نعيماً لنعيم.

الدرجة الثالثة: وهى العليا. وهو أن لا يزهد فى الدنيا للتخلص من الآلام، ولا للرغبة فى نيل اللذات، بل لطلب لقاء اللّه تعالى، وهذا زهد المحسنين العارفين.

وقد قال ابن المبارك: أفضل الزهد إخفاء الزهد، وينبغى أن يعوَّل فى هذا على ثلاث علامات.

الأولى: أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ (الحديد: ٢٣). وهذا علامة الزهد فى المال.

الثانى: أن يستوى عنده ذامّه ومادحه، وهذه علامة الزهد فى الجاه.

الثالث: أن يكون أُنسه بالله، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة.

فأما محبة الدنيا ومحبة الله تعالى، فهما فى القلب كالماء والهواء فى القدح، إذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان.

قيل لبعضهم: إلام أفضى بهم الزهد؟ قال: الى الأنس بالله[1].

- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ (الحديد: ٢٠).

- لما سُئل الإمام أحمد: أيكون الإنسان ذا مال وهو زاهد! فقال نعم إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه. وقال ﷺ «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بم يرجع»[2].

وقال ﷺ «الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً»[3].

وقال ﷺ «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[4].

- وحينما نتأمل جميعاً كيف أن سيد الأولين والآخرين ﷺ كان يربط على بطنه حجراً من الجوع نجد أن الدنيا ليست بدار كرامة وإنما هى دار ابتلاء وتمحيص فتهون الدنيا فى عينيك وتعلم أنها زائلة وأنها دار ممر وليست بدار مقر فتأخذ منها لآخرتك. فهل هناك عاقل يبنى بيتاً على الجسر الذى يعبر عليه الناس؟!!!.

النفس تجزع أن تكون فقيرةً	والفقر خير لها من غِنىً يطغيها
وغِنى النفوس هو الكفاف فإن أبَت	فجميع ما فى الأرض لا يكفيها
هى القناعة فالزمها تكن مَلِكاً	لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن مَلَك الدنيا بأجمعها	هل راح منها بغير القطن والكفن

(١) مختصر منهاج القاصدين، (ص ٣٢٤ ـ ٣٣٠)، بتصرف شديد.

(٢) رواه مسلم وأحمد وابن ماجة عن المستورد بن شداد ـ صحيح الجامع (٧١٠٠).

(٣) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة والطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٤) أخرجه الترمذى والضياء عن سهل بن سعد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

ولابد أن تعلم أيضاً أن الله يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب أما الجنة فلا يعطيها إلا لمن أحب.

فتطمع فيما عند الله وتزهد فى هذه الدنيا ولا تأخذ منها إلا ما يكفيك فى سفرك إلى الله.

قال سلمان الفارسى: أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث، أضحكنى ثلاث؛ غافل ولا يُغفل عنه، ومؤمّل الدنيا والموت يطلبه، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدرى أيؤمر به إلى الجنة أم الى النار. وأبكانى ثلاث؛ فراق الأحبة محمداً وصحبه، ومعاينة ملك الموت، والوقوف بين يدى الله ولا أدرى أيؤمر بى الى ظلٍ ظليل أم الى شرٍ مَقيل.

قال على رضى الله عنه: من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا؛ أولها ـ من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها. وقال الحسن: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافًا... وقال أيضًا رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره. وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجيًا.

وكان عيسى عليه السلام يقول: إدامى الجوع، وشعارى الخوف، ولباسى الصوف، وصلاتى فى الشتاء فى مشارق الشمس، وسراجى القمر، ودابتى رجلاى، وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لى شىء، وأصبح وليس لى شىء، وليس على الأرض أحد أغنى منى.

وقال لقمان لابنه: يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا... وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.... وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.... وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على معاشرة الكلاب.

قيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم

طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية، مشوّه خلقها، فتُشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف فى جهنم، فتنادى: يارب أين أتباعى وأشياعى؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه بها فى ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة. بل قال: «مالى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»[1].

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمّروها.

هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا معبر الى الاخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثانى على آخر القنطرة.

ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلا بد من العبور، فمن وقف يبنى على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو فى غاية الجهل والحمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً، ازداد عطشاً حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم الى مزبلة فيقول: انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم[2].

وأخيراً اسمع لقول النبى ﷺ لتعلم ما الذى يُصلح أمة الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، (ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣) بتصرف.

- «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل»(١).

- ولقد اطلت الكلام عن الزهد لأن الأمة ما وقعت فى معصية الله جل وعلا وما ابتعدت عن شرع الله إلا لحبها الشديد لتلك الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... وديارنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت ... أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ ... الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مصفًّى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً ... تسبِّح الله جهراً فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس يَعْمُرُها ... بركعةٍ فى ظلام الليل يُحييها

فيا من أردت محبة الله عليك بالزهد فى الدنيا، فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله! دلنى على عملٍ إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس، فقال:

(١) رواه أحمد فى الزهد والطبرانى فى الأوسط عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٣٨٤٥).

«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»(١).

١٣- الصدق فى الخوف

يقول ﷺ «أنى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحُق لها أن تئط. ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله»(٢).

- واعلم يا أخى أن مقامات الخائفين تختلف فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم أو خوف الميل عن الاستقامة ومنهم من يغلب عليه خوف سوء الخاتمة وأعلى من هذا هو خوف السابقة لأن الخاتمة فرع السابقة والله تعالى يرفع من يشاء من غير وسيلة ويضع من يشاء من غير وسيلة **﴿لا يُسأل عما يفعل﴾**.

وقد قال: «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى» (٣).

- ومن أقسام الخائفين من يخاف سكرات الموت وشدته أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر.

- ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدى الله تعالى والخوف من المناقشة والعبور على الصراط والخوف من النار وأهوالها أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى.

فأعلاها رتبة خوف الحجاب عن الله تعالى (٤).

- قال ﷺ: قال الله تعالى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى وإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم أجمع عبادى»(٥).

---

(١) رواه ابن ماجة والطبرانى والحاكم عن سهل بن سعد ـ صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجة والحاكم عن أبى ذر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٣) رواه أحمد والحاكم عن عبد الرحمن بن قتادة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٥٨).

(٤) مختصر منهاج القاصدين، (ص ٣٠٤، ٣٠٥) بتصرف.

(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية عن شداد بن أوس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).

- فاحرص على أن تكون ممن جمع الله لهم الخير كله جزاءاً لخوفهم وخشيتهم منه جل وعلا، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الملك: ١٢) وقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٤٦)

- وقال ﷺ «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[١].

وقال ﷺ «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع»[٢].

- وفى المقابل لابد أن تحذر من العقاب الذى أعده الله لمن لم يحمل خوف الله فى قلبه... قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (البروج: ١٢)... وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (هود: ١٠٢: ١٠٦)، وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (آل عمران: ٣٠)

- وقال ﷺ «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٣].

- وقال ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً مَن له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المِرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»[٤].

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٦٠٣).

(٢) رواه الترمذى وأحمد والنسائى عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٣) أخرجه مسلم عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٨٠٠١).

(٤) رواه مسلم عن النعمان بن بشير ـ صحيح الجامع (٢٠٣٣).

أيـا مَن يدّعـى الفهـم إلى كم يا أخى الوهـم
تعـد الذنـب والذنـب وتُخطى الخطأ الجَـم
أما بـان لـك العيـب أمـا أنـذَرك الشـيب
وما فى نُصحِه ريب
أما نـادى بـك المـوت أمـا أسمعـك الصـوت
أمـا تخشى مـن الفَـوت فتحطـاط وتهتـم
فكـم تسير فى السهـو وتختـال مـن الزهـو
وتنفـضّ مـن اللهـو كأن المـوت ماعـمّ
كأنـى بـك تنحـطّ إلى اللحـد وتنغـطّ
وقد أسـلمك الرهـط إلى أضـيق من ثَـم
هـناك الجسـم ممـدود ليسـتأكله الـدود
إلى أن ينخـر العـود ويُمسى العظم قـد رمّ
فـزوِّد نفسـك الخيـر ودع ما يُعقـب الضَير
وهـئ مركـب السير وخَفْ من لُجـة اليم
بذا أوصيك يا صـاح وقد بُحـت كمن بـاح
فطوبـى لفتـىً راح بآداب محمـدٍ يأتـم

- واليك ياأخى باقة عطرة من صور خوف الملائكة والأنبياء والأصحاب من رب العزة جل وعلا.

فأما عن الملائكة فقد قال الله عنهم ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (النحل: ٥٠).

- وقيل إن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى ﷺ وهو يبكى، فقال له: ما يبكيك؟ قال: ما جفّت لى عين منذ أن خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه.

- وروى أنه لما ظهر من إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل يبكيان، فأوحى الله تعالى إليهما: «ما هذا البكاء؟ قالا: يا رب! ما نأمن من مكرك. فقال تعالى: هكذا فكونا».

- قال وهب بن منبه: بكى آدم عليه السلام على الجنة ثلاثمائة عام، وما رفع رأسه إلى السماء بعدما أصاب الخطيئة.

وقال وهيب بن الورد: لما عاتب الله تعالى نوحاً عليه السلام فى ابنه فقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ (هود: ٤٦) بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: كان يُسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بُعدٍ خوفاً من الله عزَّ وجل (أى الخوف).

وقيل: كان داود عليه السلام يعوده الناس يظنون أنه مريض، ومابه إلا شدة الفرق من الله عز وجل.

وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطُّ مستجمعاً ضاحكاً، حتى أرى لهواته إنما كان يبتسم،وكان إذارأى غيماً وريحاً عُرف ذلك فى وجهه، فقلت: يا رسول الله: الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرِفَتِ الكراهةُ فى وجهك! فقال: «ياعائشة: ما يؤمنّنى أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذّب قوم بالريح، وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا: «هذا عارضٌ ممطرنا»(١).

وروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن كان يمسك لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد. وقال: ياليتنى كنت شجرة تُعضد ثم تؤكل. وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر رضى الله عنهم.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسمع آية فيمرض فيعاد أياماً. وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: يا ليتنى كنت هذه التبنة، يا ليتنى لم أك شيئاً مذكوراً، يا ليت

---

(١) أخرجه مسلم عن عائشة ـ صحيح الجامع (٧٩٣٠).

أمى لم تلدنى. وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء.

وقال عثمان رضى الله عنه: وددت أنى إذا مت لا أُبعث.

وقال أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه: وددت أنى كنت كبشاً فذبحنى أهلى، فأكلوا لحمى، وحسَوا مرقى.

وقال عمران بن حصين: يا ليتنى كنت رماداً تذروه الرياح.

وقال حذيفة رضى الله عنه: وددت أن لى إنساناً يكون فى مالى، ثم أغلق علىَّ بابى، فلا يدخل علىَّ أحد حتى ألحق بالله عزَّ وجل.

وكان مجرى الدمع فى خد ابن عباس رضى الله عنه كالشراك البالى.

وقالت عائشة رضى الله عنها: يا ليتنى كنت نسياً منسياً.

وقال علىٌّ رضى الله عنه: والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شُعثاً غُبراً، بين أعينهم أمثال رُكب المعز، قد باتوا لله سجّداً وقياماً، يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين جباهم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله عزَّ وجل، مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح، وهطلت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

قال هرم بن حيان: وددت والله أنى شجرة أكلتنى ناقة، ثم قذفتنى بعراً، ولم أكابد الحساب يوم القيامة، إنى أخاف الداهية الكبرى.

وكان على بن الحسين إذا توضأ اصفرَّ وتغيّر، فيُقال: مالَك؟ فيقول: أتدرون بين يدى مَن أريد أن أقوم؟

وكان محمد بن واسع يبكى عامة الليل لا يكاد يفتر.

وكان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، ويبكى حتى تجرى دموعه على لحيته. وبكى ليلة فبكى أهل الدار، فلما تجلت عنهم العبرة قالت فاطمة: بأبى أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدى الله تعالى، فريق فى الجنة، وفريق فى السعير. ثم صرخ وغشى عليه.

ولما أراد المنصور بيت المقدس، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز فقال

له: أخبرنى بأعجب ما رأيت من عمر. فقال: بات ليلة على سطح غرفتى هذه وهو من رخام، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب، فصعدت، فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينه تنحدر من الميزاب.

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلى أنهما بكيا الدم.

وقال مسمع: شهدت عبد الواحد بن زيد وهو يعظ، فمات يومئذ فى ذلك المجلس أربعة أنفس.

وكان يزيد بن مرشد يبكى كثيراً ويقول: والله لو تواعدنى ربى أن يسجننى فى الحمام، لكان حقى أن لا أفتر من البكاء، فكيف وقد تواعدنى أن يسجننى فى النار إن عصيته؟!

وقال السرى السقطى: إنى لأنظر كل يوم إلى أنفى مخافة أن يكون قد اسودّ وجهى.

فهذه مخاوف الملائكة والأنبياء والعلماء والأولياء، ونحن أجدر بالخوف منهم، ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب ولكن بصفاء القلوب وكمال المعرفة، وإنما أمنّا لغلبة جهلنا وقوة قساوتنا، فالقلب الصافى تُحركه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ.

قال بعض السلف: قلت لراهب: أوصنى، فقال: إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام، فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فيفترسنه، أو يسهو فينهشنه، فهو مذعور فافعل. قلت: زدنى. فقال: الظمآن يجزيه من الماء أيسره. وما ذكره هذا الراهب من تقدير شخص احتوشته السباع والهوام، فهو حقيقة فى حق المؤمن، فإن من نظر إلى باطنه بنور بصيرته، رآه مشحوناً بالسباع والهوام، كالغضب، والحقد، والحسد، والكبر، والعجب، والرياء، وغير ذلك، وكلهن ينهشنه ويفترسنه إن سها عنهن، إلا أنه محجوب عن مشاهدتها، فإذا انكشف الغطاء ووُضع فى القبر، عاينها متمثلة حيات وعقارب يلدغنه، وإنما هى صفاته الحاضرة الآن، فمن أراد أن يقهرها قبل الموت ويقتلها فليفعل، وإلا فليوطن نفسه على لدغها لصميم قلبه، فضلاً عن ظاهر بشرته والسلام[1] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، (ص ٣١٢ ـ ٣١٥) بتصرف.

- فأين نحن من كل هذا؟ أسأل الله أن يجعلنا من الذين يخشون ربهم بالغيب حتى يكتب الله لنا المغفرة والأجر الكبير.

١٤- الصدق فى الرجاء:

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود ولا بد من بيان حقيقتهما وفضيلتهما، وقد تكلمنا عن الخوف وبقى لنا أن نتكلم عن الرجاء.

- قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «إنما العالم الذى لا يقنّط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله».

- ويقول ابن مسعود رضى الله عنه: «ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر».

- وروى أن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فلم يُضفه وقال إن أسلمت أضفتك فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم منذ تسعين سنة أطعمه على كفره فسعى إبراهيم عليه السلام خلفه فردّه وأخبره فى الحال فتعجب من لطف الله تعالى فأسلم.

- فهذه الأشياء والأخبار هى التى تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيئاً من ذلك إلا قليلاً لئلا يغتروا بحلم الله فيجترئوا على محارم الله.

وإليك يا أخى الحبيب باقة من الأحاديث عن الرجاء وما ينبغى للمؤمن أن يفعله لكى يكون راجياً لله عز وجل.

- فعن عمر رضى الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ بسبى، فإذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبياً فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ، «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟» قلنا: لا والله. فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

---

(١) متفق عليه عن عمر ـ أخرجه البخارى برقم (٥٩٩٩) مسلم فى كتاب التوبة برقم ٢٧٥٤/ ٢٢).

- فما أعظم رحمات الله عز وجل.

- وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار[1].

- فحينما تستحضر تلك الرحمات يكون ذلك حافزاً وحادياً لك لأن تزداد قرباً بعد قربٍ وحباً بعد حبٍ لله عز وجل؛ لأنك توقن بأنه هو أرحم الراحمين وهو خير الغافرين، فتطمع فى رحمته ومغفرته وتخرج من مصائد الشيطان الذى يريد أن يُقنّطك من رحمة الله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ (الزمر: ٥٣).

- وانظر لهذا المشهد العظيم من مشاهد الآخرة.

- قال ﷺ: «إن الله تعالى يُدنى المؤمن فيضع عليه كَنَفَه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يُعطَى كتاب حسناته بيمينه. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[2].

بل هذا رجل من بنى إسرائيل يقص النبى ﷺ قصته فيقول:

«إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مُتّ فاجمعوا لى حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتُحشت ـ فاحترقت ـ فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً فازروها فى اليم.. ففعلوا ما أمرهم فجمعه الله وقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر له».

وفى رواية: «فجمعه الله فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته»[3].

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٧٦٣) الصحيحة (١٦٣٤).

(٢) متفق عليه عن ابن عمر، ورواه أحمد والنسائى وابن ماجة ـ صحيح الجامع (١٨٩٤).

(٣) متفق عليه عن حذيفة وأبى مسعود ـ صحيح الجامع (٢٠٧٤).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[١].

- بل إنه تعالى يقول فى الحديث القدسى: «.... يا عبادى كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم...»[٢].

- فأحسنوا الظن بالله وارجوا رحمته فإن رحمته وسعت كل شىء.

- فعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ إنه قال: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرَّب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرَّب إلىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلىَّ يمشى أقبلت إليه أهرول»[٣].

- فيا أخى المسلم أَحسِن الظن بالله ولا تموتَن إلا وأنت تحسن الظن بالله فهو حبيبك وهو راحمك وهو ربك وهو رازقك.

فلا ترجُ غيره ولا تطمع فى رحمة مَن سواه والجأ إليه وتب إليه فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الأوابين.

- والجأ إليه سبحانه وتعالى وقل بلسان الحال والمقال:

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ

فقلت يا أملى فى كل نائبةٍ ... ومَن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها ... مالى على حَملها صبرٌ ولا جَلَدُ

وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً ... إليك يا خير من مُدّت إليه يدُ

فلا تردّنها يا رب خائبةً ... فبحر جودك يروى كل من يردُ

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبى موسى ـ صحيح الجامع (١٨٧١).

(٢) رواه مسلم عن أبى ذر ـ صحيح الجامع (٤٣٤٥).

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٨١٣٨).

فخلف من بعدهم خلف

هكذا عشنا فى بساتين الصادقين، فهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾

(الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤)

وقال الله عنهم: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (البينة: ٨).

- أما نحن فقد قال الله عنّا:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩)

يخبر الله عز وجل عن أنه بعد هؤلاء الأتقياء المخلصين من أصحاب النبى والتابعين سوف يأتى من بعدهم قوم أشقياء تركوا الصلوات وسلكوا طريق الشهوات فسوف يلقون غياً، أى سوف يلقون كل شر وخسارٍ ودمار. قال ابن عباس: غيٌ وادٍ فى جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره.

- وليس المقصود من تلك الآية ترك الصلاة بالكلِّية ولكن معناها كما قال ابن عباس: هو تأخير الصلاة إلى الصلاة، فما جزاء من يفعل ذلك؟ فسوف يلقون غياً!.

والغى كما أسلفنا واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل فيه صديد أهل النار، وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حر هذا الوادى!!

- ففى الوقت الذى بذل فيه الصحابة الغالى والنفيس وضحوا بالأموال والأولاد والأوطان من أجل أن يتشرفوا بنعمة الإسلام والاستسلام لمالك الملك وملك الملوك نأتى نحن ونأبى أن نكون مسلمين، وقد أتانا الإسلام بلا عناء فأضعنا الصلاة وتركناها، وهى التى من أهميتها فرضها الله من فوق سبع سماوات، بل قال النبى ﷺ عن تارك الصلاة.

«العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» (١).

وقال ﷺ «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (٢).

---

(١) رواه أحمد والترمذى والنسائى عن بريدة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن جابر ـ صحيح الجامع (٢٨٤٨).

- واسمع كيف كان حال سلفنا الصالح مع الصلاة.

- تخلف حاتم الأصم ذات مرة عن صلاة الجماعة فأتاه ثلاثة يعزونه، فبكى بكاءاً شديداً، فقالوا: علام البكاء؟ قال: لقد فاتنى الصلاة مع الجماعة، فجاء ثلاثة يعزوننى، ولو مات ولد من أولادى لجاءنى أهل المدينة يعزوننى، ووالله لموت أولادى كلهم أهون علىَّ من ترك صلاة واحدة.

- نُهدى تلك الكلمة لمن يترك الصلاة من أجل المباراة والفيلم والجلوس أمام الفيديو ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- واسمعوا أيها الإخوة الكرام للخاتمة السيئة لكل من ترك الصلاة وهى نماذج بسيطة من واقع الحياة.

- يقول الشيخ القحطانى فى محاضرة له: إن بعض الأموات عندما كنت أغسلهم كان بعضهم تنقلب بشرته إلى السواد وبعضهم يقبض يده اليمنى وبعضهم يُدخل يده فى فرجه وبعضهم تُشم رائحة الشواء من فرجه وبعضهم تسمعَ كأن أسياخاً من نارٍ أُدخلت فى فرجه. يقول: ولقد جىء بميت فلما ابتدأنا بتغسيله انقلب لونه كأنه فحمة سوداء وكان قبل ذلك أبيض البشرة، فخرجت من مكان التغسيل وأنا خائف فوجدت رجلاً واقفاً فقلت له: هذا الميت لكم؟ قال: نعم. قلت: أنت أبوه؟ قال: نعم، قلت: ما شأن الرجل؟ قال: هذا الرجل كان لا يصلى فقلت له خذ ميتك فغسّله[1].

- وقال الشيخ القحطانى: خرجت ذات يوم من المقبرة بعد صلاة العصر، وكنا قد قبرنا رجلاً وكان الطين عالقاً فى يدى، فأردت أن أغسلها، إذ جاءت جنازة فقال أحدهم وكانوا فى حدود الخمسين رجلاً بالله عليك أن تساعدنا فى دفن هذا الرجل، فوالله لا نُحسن الدفن فسلك الرجل من جهة الرجلين وكان ثقيلاً، فأعاننى عليه بعضهم فوضعته فى القبر وطلبت لبنةً أضعها تحت رأسه وقد حللت الأربطة فنظرت فإذا برأس هذا الميت قد تحوّل - عياذاً بالله - من القبلة هكذا فحوَّل الشيخ رأسه، فقمت بردّ هذا الميت إلى القبلة وأخذت اللبنة الثانية ولكنى فى هذه المرة وجدت عينيه قد فُتحتا وأنفه وفمه يصبان الدم الأحمر القانى فداخلنى الخوف والوجل حتى إن رجلى لم تستطعا أن تحملانى داخل القبر،وقد رأى معى اثنان أو ثلاثة هذا المشهد

(١) تذكره الإخوان بخاتمة الإنسان، (ص ٤٧).

الغريب الخطير ثم أعطونى اللبنة الثالثة، فوجدت أنه تحول فى المرة الثالثة فتركته وهربت من القبر نهائياً، فقام الذين كانوا معى وتولوا عملية الدفن فردموه بالتراب ولم يغلقوا اللحد من شدة الخوف ثم صرت أرى هذا الميت فى المنام سبع أو ثمانى مرات حتى سكّن الله قلبى عندما ذهبت إلى العمرة وجلست هناك فى حدود خمسة عشر يوماً حتى نسيت وعدت إلى الرياض(١).

- فها هى الأمثلة التى تخبرنا بسوء الخاتمة لكل من ترك الصلاة فجدير بنا أن يقول الله عنا: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)** ﴾ (مريم: ٥٩).

- بل قال الحق تبارك وتعالى عنا:

﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٦٩)

- نعم والله لقد ورثنا الكتاب بلا عناء وورثنا الإسلام بغير شقاء ولاتضحيات، أما الصحابة فتعبوا وكابدوا وجاهدوا من أجل أن يظفروا بنعمة الإسلام، كان الواحد منهم يترك أولاده وأمواله وأوطانه من أجل أن ينطق الشهادتين وأحدنا يكون المسجد تحت منزله ويأبى أن يسجد لله سجدة واحدة بل وينكر على كل من يُذكّره بالله جل وعلا.

- ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى** ﴾ أى يأخذون ذلك الشىء الدنىء من حطام الدنيا من حلالٍ وحرام ويقولون متبجحين سيغفر الله لنا ما فعلناه.... وهذا اغترار منهم وكذب على الله.

﴿ **وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ** ﴾ أى يرجون المغفرة وهم مصرّون على الذنب كلما لاح لهم شىء من حطام الدنيا أخذوه لا يبالون من حلالٍ كان أو حرام(٢).

- وكما قال النبى ﷺ: «يأتى على الناس زمان ما يبالى الرجل من أين أصاب

(١) تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان (ص ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) صفوة التفاسير، (ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠، مجـ ١).

المال؟ من حلال أو حرام»(١).

- وهذا قمة الاغترار بالله، فعلى الرغم من أنهم يأكلون الحرام ويلبسون الحرام فهم متيقنون من أنهم سيغفر الله لهم - وتأمل معى الفرق بيننا وبين سلفنا الكرام.

- فهذا أبو بكر يقول: لو أن إحدى قدميَّ فى الجنة والأخرى بخارجها ما أمنت مكر الله - ونحن نقول: سيُغفر لنا.

- وعمر بن الخطاب يقول: لو نادى منادٍ يوم القيامة أن كل الناس يدخلون الجنة إلا رجلاً واحداً لقلت إنه عمر، ونحن نقول سيغفر لنا.

- بل إن النبى ﷺ يقول: «لن يُدخل أحداً عملُه الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته»(٢).

ونحن نقول سيغفر لنا.

- فهذا هوالإرجاء الذى أصبح يمثّل الآن المرض العُضال الذى سرى فى الأمة سريان السم فى العروق، فحوَّل الأمة إلى غثاء يحلم بالفردوس الأعلى، وهو لا يصلى، بل ويسمع الغناء ويهجر القرآن،ويعق أمه وأباه ويسخر من أهل الدين.

- ولذا يأتى هذا التوبيخ من الله لنا فيقول: ﴿**أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**﴾.

أى ألم يؤخذ عليهم العهد المؤكد أن يقولوا الحق ولا يكذبوا على الله؟ فكيف يزعمون أنه سيغفر لهم - مع إصرارهم على المعاصى وأكل الحرام؟ ﴿**وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**﴾ والحال أنهم درسوا ما فى الكتاب وعرفوا ما فيه المعرفة التامة من الوعيد على قول الباطل والافتراء على الله.

ثم يُقر الخالق جل وعلا تلك الحقيقة الكبرى، ألا وهى ﴿**وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ أى والآخرة خير للذين يتقون الله بترك الحرام ﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٦٩) والمراد أنهم لو كانوا عقلاء لما آثروا الفانية على الباقية.

---

(١) رواه النسائى عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٥٢٢٢).

- ولذا يُذكّرنا الله بالجيل الذى يحمل الأمانة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)﴾ (الأعراف: ١٧٠).

فهذا هو الجيل الذى يستحق الإعانة والنصرة من الله جل وعلا، فإن الذى أقام شرع الله فى قلبه جدير بأن يعينه الله على إقامته فى أرضه.

- والأمة المسلمة بعد أن كانت تقود الأمم من حولها إلى كل خير وفضيلة أصبحت اليوم فى ذيل القافلة يسحبها الغرب خلفه، ويقودها إلى كل رذيلة.. ولم تكتف الأمة بترك الصلاة أو أكل الحرام فحسب، بل إن الأمة غيّرت شرع الله جل وعلا، فأذلها الله لأمم الشرق الملحد والغرب الكافر، فأصبحت قصعة مستباحة لكل الأمم من حولها... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ولن تعود العزة للأمة المسلمة إلا إذا قامت الأمة ونفضت غبار الغفلة عنها وحملت راية الإسلام خفاقة لتعلن للعالم من حولها أن الإسلام هو وحده القادر على قيادة الدنيا بأسرها إلى خيرى الدنيا والآخرة.

كيف تكون صادقاً

١- إقامة التوحيد لله جل وعلا:

فإنه إذا تعلق القلب بالله جل وعلا، فلن يخاف أحدًا من دون الله، ولن يرغب إلا فيما عند الله، وهنا تنتفى عنه دواعى الكذب، فيصبح صادقًا مع الله فى كل صغيرة وكبيرة، وذلك يتطلب من العبد أن يعرف الله حق المعرفة.

٢- أن تستشعر آثار الصدق وثمراته:

لكى يكون العبد صادقاً فى عبوديته لله، بل لكى يكون صادقًا فى كل شىء، فلابد عليه أن يستشعر آثار الصدق وهى:

أن الصدق كما أخبر النبى ﷺ يهدى إلى البر والبر هو جماع أعمال الخير والطاعة لله جل وعلا، والبر يهدى إلى الجنة وهى أقصى ما يتمناه ويشتهيه كل مؤمن فليس هناك طريق يقربك من الجنة سوى الصدق وأعظم أنواع الصدق هو الصدق مع الله جل وعلا.

حتى إن أهل الجنة عند دخولهم الجنة يقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)﴾(الزمر: ٧٤).

- بل إن النبى ﷺ ضمن الجنة لمن ضمن له ستاً، فقال ﷺ: «اضمنوا لى ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» (١).

٣ ـ أن تستشعر عاقبة الكذب وأهله:

ويجب عليك أن تستشعر عاقبة الكذب وأهله ويكفيك أن تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠)، فهل هناك وعيدٌ أشد من هذا الوعيد، أن ترى الخلائق وجهك مسوّداً فتعرف أنك من الذين كذبوا على الله فى الدنيا!!.

٤ ـ الرغبة فى النجاة من أهوال يوم القيامة:

أن تعلم علم اليقين أن الحق تبارك وتعالى قد حكم وحُكمُه الحق أنه لا ينفع ولا ينجى من أهوال يوم القيامة إلا الصدق، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (المائدة: ١١٩)، فما هوالجزاء: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وفوق نعيم الجنة يعطيهم ما هو أعظم من الجنة ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٥ ـ الزهد فى الدنيا:

إن الرغبة الشديدة فى متاع الدنيا الزائل يجعل الإنسان ينغمس، بل ويخوض مع الخائضين فى جمع حطام الدنيا مما يضطره أحيانًا إلى الكذب والنفاق وأكل الحرام، خوفًا من فوات الدنيا... والزهد فى الدنيا هو طوق النجاة من كل ذلك.

٦ ـ الخوف من النفاق:

أن تعلم أن الكذب من خصال النفاق فتخشى على نفسك.

- قال ﷺ: «أربع مَن كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١٨)

كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتُمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»(١).

٧ـ الخشية من العذاب والحجاب عن الله:

أن تخشى من سخط الله عليك وعذابه فمن كذب فهو فى سخط الله، فقد قال النبى ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائلٌ مستكبر»(٢).

٨ـ كثرة قراءة سير الأنبياء والصحابة:

أن تكثر من قراءة سير الأنبياء عليهم السلام وعلى وجه الخصوص سيرة النبى ﷺ وكذلك سيرة الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، فإن كثرة القراءة والسماع عن الصادقين يجعلك تهفو لأن تكون منهم ويكون ذلك حادياً لك لتلحق بركب الصادقين، فإن الله جل وعلا قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

فتسعى لأن تكون ممن ينتظر وتلحق بركب الصادقين.

بل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

٩ـ أن تخاف أن تكون من الخائنين:

أن تعلم أن الكاذب خائن لله ولرسوله ﷺ ولإخوانه المؤمنين فتأبى أن تكون خائناً.

- فعن سفيان بن أسيد الحضرمى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَبُرت خيانةً أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدقٌ وأنت له به كاذب»(٣).

---

(١) متفق عليه عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٨٨٩).

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٠٦٩).

(٣) رواه أبو داود وضعفه الألبانى فى ضعيف السنن وضعيف الجامع (٤١٦٢)، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد والطبرانى عن النواس.

١٠ـ البعد عن صحبة الأشرار:

أن تبتعد عن صحبة الأشرار لأنهم يكذبون على الله فما يمنعهم أن يكذبوا على المخلوق، فصحبتهم تجعلك تألَف الكذب، وتكره الصدق لأن الكاذب بطبعه يعتقد أن الكذب منجاة له، وأن الصدق مهلكة له ولكنه يوم القيامة سيعض على يديه ندماً على صحبة الأشرار، كما أخبر الله جل وعلا: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ (الفرقان: ٢٧: ٢٩).

- ومن هنا تعلم أنه لا خير إلا فى صحبة الصالحين.

« فقد أخبر النبى ﷺ أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»(١).

١١ـ مصاحبة الصادقين:

مصاحبة الصادقين، وعلى وجه الخصوص العلماء وطلبة العلم، فإنهم أحرص الناس على تحرى الصدق مع الله، فكيف يكذبون على الناس، بل إن صحبتهم مجلبة لمحبة الله جل وعلا.... ولذا قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)**﴾ (التوبة: ١١٩).

وكما قال النبى ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ــ وذكر منهم ــ رجلان تحابا فى الله»(٢).

١٢ـ الحرص على طاعة الله والرسول ﷺ:

ومما يعين على الصدق، الحرص على طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٥٦٧) بطرف «زار رجل أخًا له...».

(٢) سبق تخريجه.

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) ﴾

(النساء: ٦٩، ٧٠)

فجعل الله مرتبة الصديقين بعد الأنبياء مباشرة وإن كان حرف (الواو) لا يقتضى الترتيب فيكفيك شرفاً أيها الصادق أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس هناك صحبة أعظم من تلك الصحبة، ولذا قال الله عنهم: ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾.

١٣ـ الخوف من دعاء النبى ﷺ عليك:

ومما يعين على الصدق أن تحرص كل الحرص ألا تكون ممن دعا عليهم النبى بالويل، فقال: «ويل للذين يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويلٌ له ويلٌ له»(١).

١٤ـ مجاهدة النفس فى تحرى الصدق:

ومما يعين على الصدق أن تجاهد نفسك فى أن تتحرى الصدق فى الأقوال والأفعال، كما قال النبى ﷺ «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق»، وتحاول دائماً أن تتحرى الصدق خشية أن تقع فى شعبة من شعب النفاق «وإذا حدث كذب» فلا تتكلم إلا الصدق.

- ولذلك كان أحد الصالحين يقول: والله ما تكلمت بكلمة منذ أربعين سنة إلا وقد أعددت لها جواباً بين يدى الله عز وجل.

- وكان على بن أبى طالب يقول: لو نادى منادٍ من السماء أن الكذب حلالٌ ما كذبت.

- وكذلك لا بد أن تحرص على الصدق فى الأفعال وبخاصة العهود وتضع نصب عينيك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

(التوبة: ٧٥ : ٧٧)

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود وأحمد عن معاوية بن حيدة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

١٥ ـ الخوف من عذاب القبر:

ومما يعين على الصدق أن تحرص على الصدق خشية أن تكون ممن حكى عنه النبى ﷺ فى هذا المشهد المفزع الذى يصور عذاب أهل الكذب فى قبورهم.

- قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدىَّ فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم على رأسه بيده كَلّوب من حديد فيدخله فى شدقه فيشقه حتى يُخرجه من قفاه ثم يُخرجه فيدخله فى شدقه الآخر ويلتئم هذا الشدق فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟».

فقالا فى آخر الحديث رداً على السؤال: أما الرجل الأول الذى رأيت فإنه رجل كذّاب يكذب الكذبة فتحمل عنه فى الآفاق فهو يُصنَع به ما رأيت إلى يوم القيامة ثم يصنع الله تعالى به ما شاء[1].

١٦ ـ استحضار صفات الصادقين المتقين:

ومما يعين على الصدق أن تَستحضر صفات الصادقين والمتقين وهى فى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ (البقرة: ١٧٧).

فتحاول أن تتصف بتلك الصفات لتكون من الصادقين.

١٧ ـ خشية العقوبة فى الدنيا والآخرة:

- قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدّخره له فى الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»[2].

---

(١) متفق عليه عن سمرة بن جندب ـ صحيح الجامع (٣٤٦٢).

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى بكرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٠٥).

- فاعلم يا أخى أن من أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب.

- قال عمربن عبد العزيز: ما كذبت منذ شددت عليَّ إزارى.

- قال مالك بن دينار: قرأت فى بعض الكتب أنه ما من خطيب إلا وتُعرض خطبته على عمله فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قُرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قُرضتا نبتتا.

١٨ ـ كثرة الدعاء والاستغفار:

فكثرة الاستغفار يطهر العبد من الذنوب، فإن قام وسأل الله أن يرزقه الصدق بصدق، فإن الله يوفقه إلى ذلك، فهو أرحم الراحمين.

١٩ ـ أن تستحضر هذا الوعيد:

ومما يعين على الصدق أن تستحضر هذا الوعيد للمكذبين فى قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤)﴾ (المزمل ١١: ١٤).

فتخشى أن تكون من هؤلاء الذين توعدهم الله بعذابه.

٢٠ ـ الخشية من الفضيحة يوم القيامة:

ومما يعين على الصدق أن تخشى من الفضيحة فى هذا اليوم العظيم الذى يفضح الله فيه الكاذبين على رؤوس الأشهاد.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَٰؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)﴾ (هود: ١٨).

ففى تلك الآية يخبر الحق تبارك وتعالى أنه ليس هناك أظلم ممن افترى على الله كذباً... بل إنه يخبر عن فضيحتهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ثم يختم الآية بقوله: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ واللعنة هى الطرد من رحمة الله جل وعلا.

وجدير بمن يسمع بتلك العقوبات التى اجتمعت لأهل الكذب أن يخشى أن يكون

منهم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ (الزمر: ٦٠).

بل إن الله جل وعلا قد حكم على أهل الكذب بالخسران فى الآخرة ونفى عنهم أصل الهداية، فقال جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾ (يونس: ٤٥)

٢١ ـ الخوف من الدخول مع المكذبين يوم الدين:

ومما يعين على الصدق أن تخشى من الدخول مع المكذبين بيوم الدين فى وادى سقر الذى جعل الله فيه من العذاب والنكال ما يناسب كل من كذّب بيوم الدين.

فمن كذّب بيوم الدين فإنه لا تنفعه شفاعة الشافعين ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ (المدثر: ٣٨ - ٤٨).

٢٢ ـ أن تحب الصادقين:

فلقد قال ﷺ: «المرء مع من أحب»(١).

ثمرات الصدق

* وأخيراً ما هى ثمرات الصدق؟:

١ ـ الفوز بالجنة:

إنه لو لم يكن هناك سوى قول النبى ﷺ: «فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة» لكان كافياً، فهل هناك ثمرة أعظم من الجنة؟!.

(١) متفق عليه عن أنس وابن مسعود ـ صحيح الجامع (٦٦٨٩).

إنها سلعة الله «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هى الجنة»(١).

٢ ـ أن تعرف فى الملأ الأعلى:

أن تنال هذا الشرف العظيم وهو أن تُعرف فى الملأ الأعلى بل وتُكتب عند الله صديقاً «ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً» ويا له من شرف عظيم ينبغى أن يحرص عليه كل مؤمن.

٣ ـ أن تحشر يوم القيامة فى زمرة الصادقين:

أن تدخل تحت قول الله عز وجل: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (٢٣) ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

فتُبعث يوم القيامة مع أهل الصدق الذين قال الله فيهم: .

﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** (٦٩) **ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا** (٧٠) ﴾ (النساء: ٦٩ ـ ٧٠).

٤ ـ راحة الضمير وطمأنينة النفس:

ومن ثمرات الصدق راحة الضمير وطمأنينة النفس لقول الرسول ﷺ:

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»(٢).

٥ ـ البركة فى الكسب وزيادة الخير:

ومن ثمرات الصدق البركة فى الكسب وزيادة الخير لقول الرسول ﷺ:

«البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينّا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما»(٣).

٦ ـ الفوز بمنزلة الشهداء:

صدق النية وصدق الطلب يجعلانك تفوز بمنزلة الشهداء لقول الرسرل ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٤).

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية، وصحح الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢) الصحيحة (٢٣٣٥).
(٢) رواه أحمد والترمذى عن الحسن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٨).
(٣) متفق عليه عن حكيم بن حزام ـ صحيح الجامع (٢٨٩٦).
(٤) سبق تخريجه.

٧ ـ النجاة من المكروه وتفريج الشدائد:

ومن ثمرات الصدق النجاة من المكروه فقد حُكى أن هارباً لجأ إلى أحد الصالحين وقال له أخفنى عن طالبى. فقال له: نمَ هنا.... وألقى عليه حزمة من خوص، فلما طالبوه وسألوا عنه قال لهم: ها هو تحت الخوص، فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه ونجا ببركة صدق الرجل الصالح.... ولقد أسلفنا الكلام على حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار، وكذلك قصة المخلفين الثلاثة وغيرها.

٨ ـ أن تفوز برضوان الله جل وعلا:

قال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩).

٩ ـ غفران الذنوب وتكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

فمن بين هؤلاء الذين أكد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا (الصادقين والصادقات).

والصدق فى التوبة سبب لمغفرة الذنوب.. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم: ٨)

١٠ ـ أن تصبح عبدًا لله جل وعلا:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾ (آل عمران: ١٥)، ثم وصف الله عباده بأنهم يقولون: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)﴾ (آل عمران: ١٦) وكان من أول صفاتهم ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧)

١١ ـ أن الصدق خير من الدنيا وما فيها:

قال ﷺ: «أربعٌ إذا كُن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحُسن خليقة، وعفة طُعمة»(١).

وهذه الفضائل كلها تنبع فى الأصل من الصدق مع الله الذى يثمر لنا الصدق مع عباد الله من حولنا.

١٢ ـ أن الصدق سبب فى ثبات المؤمن على دينه:

فالمؤمن حينما يصدق مع الله عز وجل، فإن الله يرزقه البصيرة الصادقة التى بها يوقن العبد أن لقاء الله حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، فيكون ذلك حاديًا له للعمل والعبادة طمعًا فى رضوان الله وجنته... ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ (العنكبوت: ٦٩).

فمن أيقن أنه موقوف بين يدى الله، فإنه يسعى بجوانحه وجوارحه لإرضاء الحق جل وعلا، وهذا بدوره يكون سببًا فى أن يرزقه الله الهداية بكل صورها ومعانيها.

١٣ ـ النجاح فى الدعوة إلى الله:

إنه لا شك أن الداعية الصادق فى دعوته قولاً وعملاً، فإن دعوته تصل إلى القلوب مباشرة، وذلك لأنه بصدقه يفتح الله له القلوب ويجعلها تنقاد لدعوته الصادقة، ولذا فإن الإسلام اليوم فى أشد الحاجة لأن نشهد له شهادة عملية، كما شهدنا له من قبل شهادة قولية.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

«وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه (عليهم رضوان الله) صورًا حية من إيمانه، تأكل الطعام،وتمشى فى الأسواق... يوم صاغ من كل واحدٍ منهم قرآناً حيًا

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (٤/ ٣١٤) وصححه الألبانى فى الصحيحة (٧٣٣).

يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجًا مجسمًا للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام.

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئًا، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكًا.

ومن ثَم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يُلقى مواعظ، وأن يصوغ ضمائر، لا أن يُدبّج خُطبًا، وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة... أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحوّل الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدى، وتراهم العيون...

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا، وحوّل إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف عشراتٍ من النُّسَخ، ثم مئات وألوفاً، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب. وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله من عند الله».

ويكفى شريعة الإسلام فخراً أن يشهد لها الخصوم والأعداء بنمائها وحيويتها وخلودها.

شهد الأنام بفضله حتى العِدا   والفضل ما شهدت به الأعداء

ولم يأتِ هذا كله فى غمضة عين وانتباهتها، بل جاء ببذل الدماء والأموال فى سبيل الله، فهؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ الذين بلغوا المجد والعظمة بحملهم لرسالة الإسلام عقيدة وقولاً وعملاً... فهذه هى مؤهلات النصر والتمكين أن يتمسك المؤمن بعقيدةٍ راسخةٍ ويحوّل تلك العقيدة إلى واقع عملى ينظر إليه أعداء الدين على أنه جبل شامخ من القيم والأخلاقيات والمعاملات والعبادات، وبهذا يستطيع المسلم أن يحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا وما فيها، فيجاهد ويضحى، ويصبر ويبلغ رسالة الإسلام.

١٤ـ أن الله يرزقه الفرقان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾ (الأنفال: ٢٩).

أى: إن تصدقوا فى تقواكم لله جل وعلا، فإن الله يرزقكم بالنور الذى تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام... وتلك نعمة والله لا تدانيها نعمة، وبخاصة فى تلك الأيام التى اختلط فيها الحق بالباطل، والحلال بالحرام، والكفر بالإيمان، والبدعة بالسنة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٥ـ أن الله يرزقه حسن الخاتمة:

قال ﷺ: «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا»، وتالله إن تلك المنزلة لا يوفَق إليها إلا من أراد الله به خيرًا فى دينه ودنياه، وإلا لمن علم الله أنه سيموت على الإيمان والصدق.

وهذا مثل قول النبى ﷺ فى أهل بدر: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١). وبالفعل فقد ماتوا جميعًا على التوحيد..

وفى الرواية الأخرى أن النبى ﷺ قال لذلك الرجل الذى جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت. لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية»(٢)، فحكم النبى ﷺ أن من شهد بدرًا والحديبية فلن يدخل النار... وبالفعل فقد ماتوا جميعًا على التوحيد، وذلك لصدقهم مع الله عز وجل... فنسأل الله حُسن الخاتمة.

- وليس معنى ذلك أن تلك هى ثمرات الصدق وليس هناك غيرها، فثمرات الصدق لا تنتهى أبداً، ويكفيك أن تعرف أن نهاية المطاف لثمرات الصدق فى جنات النعيم التى أعدها الرحمن جل وعلا لعباده المؤمنين، وليس هناك ثمرة أغلى من الجنة التى فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) أخرجه مسلم عن على (١٦/ ٨٢ ـ ح ١٦١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه مسلم عن جابر (١٦/ ٨٣ ـ ح ١٦٢) كتاب فضائل الصحابة.

أضرار الكذب

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتاب الفوائد:

إياك والكذب؛ فإنه يفسد عليك تصوُّر المعلومات على ما هى عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس. فإن الكاذب يصوِّر المعدوم موجوداً والموجود معدوماً، والحق باطلاً والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً، فيفسد عليه تصوُّره وعلمه عقوبة له. ثم يصوِّر ذلك فى نفس المخاطب المغترّ به الراكن إليه فيفسد عليه تصوُّره وعلمه. ونفس الكاذب مُعْرِضة عن الحقيقة الموجودة، نزاعة إلى العدم، مؤثرة للباطل. وإذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التى هى مبدأ كل فعل إرادى، فسدت عليه تلك الأفعال، وسَرَى حكم الكذب إليها، فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان؛ فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله.

ولهذا كان الكذب أساس الفجور، كما قال النبى ﷺ: «إن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار».

وأول ما يسرى الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسرى إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله؛ فيعمّ الكذب أقواله وأعماله وأحواله؛ فيستحكم عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة، إنْ لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلعُ تلك المادة من أصلها.

ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها، أصلها الكذب. فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق. وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب.

والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يُقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه. ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته. فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ومضارّها بمثل الكذب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

وقال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (المائدة: ١١٩).

وقال: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) ﴾ (محمد: ٢١).

وقال: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) ﴾ (التوبة: ٩٠)[١].

فوائد ترك الذنوب والمعاصى

يقول الإمام ابن القيم: إن من فوائد ترك الذنوب والمعاصى إقامة المروءة، وصَوْن العِرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذى جعله الله قِواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبةُ الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش،وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفسّاق والفجّار، وقلة الهم والغم والحزن، وعزّ النفس عن احتمال الذلّ، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصى، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن فى قلوب الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التى يكتسبها وجهه، والمهابة التى تُلقى له فى قلوب الناس، وانتصارهم وحميّتهم له إذا أُوذى وظُلِم، وذبِّهم عن عِرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التى بينه وبين الله، وقُرْب الملائكة منه، وبُعْد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخِطبتهم لمودّته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا فى قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على المُلك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجْد حلاوة الإيمان، ودعاء حَمَلَة العرش ومَن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كلّ وقت، والزيادة فى عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحة بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصى فى الدنيا، فإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من

---

(١) كتاب الفوائد لابن القيم، (ص ١٩٩ ـ ٢٠٠)، ط. دار الخانى.

رياض الجنة ينعم فيا إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة كان الناس فى الحَرِّ والعَرَق، وهو فى ظلِّ العرش. فإذا انصرفوا من بين يدى الله أَخَذَ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين. و ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)**﴾ (الحديد: ٢١)(١).

هل من عودة إلى الله

وأخيراً لا بد أن تعلم يا أخى الحبيب أننا لا نقنِّط أحداً من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح ولكن تعجّل يا عبد الله بالرجوع والإنابة إلى الله، فأنت لا تعلم متى يأتيك ملك الموت، فلربما يأتيك بعد قراءة تلك الكلمات، فقم وتوضأ واسجد للواحد الديان، وقُم فى قلب الليل واصرخ بلسان الحال والمقال:

بك أستجير ومن يُجير سِواك ... فأجِر ضعيفاً يحتمى بحماك

إنى ضعيفٌ أستعين على قوى ... ذنبى ومعصيتى ببعض قواك

أذنبت يا رب وآذتنى ذنوبٌ ... ما لها من غافرٍ إلاك

دنيايا غرتنى وعفوك شدنى ... ما حيلتى فى هذه أو ذاك

ربآه قلب تائب ناجاك ... أتُرده وترد صادق توبتى

حاشاك ترفض تائباً حاشاك

فليرضى عنى الناس أو فليسخطوا ... أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

- فكم من الناس كان لا يصلى، ووالله بمجرد أن دعاه أصحاب الدعوة الصادقة إلى الله جل وعلا قام وتوضأ ووقف يصلى بين يدى الله، وما إن سجد لله حتى فاضت روحه وفارق الدنيا وهو ساجد لله ومن مات على شىء بُعث عليه، فسوف يُبعث ساجداً لله جل وعلا.

- قال ﷺ: «من مات على شىء بعثه الله عليه»(٢).

---

(١) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص ٢٢١ ـ ٢٢٢).

(٢) رواه أحمد والحاكم عن جابر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤٣).

تزوّد مـــن التقـــوى فإنك لا تـــدرى إذا جنّ ليلٌ هـل تعيش إلى الفجـر
فكم من فتىً أمسى وأصبح ضــاحكاً وقد نُســـجت أكفانه وهو لا يدرى
وكـم من صغارٍ يُرتجى طول عمـرهم وقد أُدخــلت أجسادُهم ظُلمة القبر
وكـــم من عـــروسٍ زينوها لزوجهـا وقد قُبضــت أرواحهـــم ليلة القدر
وكم من صـحيحٍ مات من غيـر علـةٍ وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

- واعلم أن لك أجراً مضاعفاً على طاعتك لله جل وعلا لأننا نعيش فى زمن الفتن الذى أخبر عنه النبى ﷺ أن القابض على دينه كالقابض على الجمر، فاترك الغناء الذى حرّمه الله من فوق سبع سماوات واعكف على قراءة القرآن وتدبر معانيه والعمل بما فيه، فلقد كان الحبيب ﷺ خُلُقُه القرآن(١).

فطهر بيتك من رجز الغناء الذى قال عنه النبى ﷺ.

- «ليكونن فى أمتى أقوام يستحلّون الخز والحرير والخمر والمعازف»(٢).

- وقال ﷺ: «فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف فقال رجل من المسلمين يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربت الخمور»(٣).

- ولقد ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور ونسينا القرآن، بل لقد أصبح القرآن لا يُسمع ولا يُقرأ إلا عند المقابر وفى السرادقات فى مناسبات الموت فأصبح القرآن يمثل فى قلوب المسلمين علامة على الحزن والكآبة، وأصبح الغناء علامة على الفرح والسعادة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- فلا بد أن نتذكر جميعاً أننا موقوفون بين يدى الواحد الديان فى يوم طولُه خمسون ألف سنة وسنُسأل عن كل صغيرة وكبيرة.

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾
(الكهف: ٤٩)

(١) أخرجه مسلم عن عائشة ـ صحيح الجامع (٤٨١١).
(٢) أخرجه البخارى عن أبى عامر وأبى مالك الأشعرى ـ صحيح الجامع (٥٤٦٦).
(٣) رواه الترمذى عن عمران بن حصين، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٧٣).

- فإذا سألك الله جل وعلا لماذا هجرت القرآن وسمعت الغناء الذى حرمته عليك؟ فبأى شىء تجيب على سؤال الحق تبارك وتعالى؟!

فإذا سألك عن هجرك لشرع الله ولسنة رسول الله فبأى شىء تجيب؟!

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) ﴾ (القصص: ٦٥ - ٦٦).

فعميت عليهم الأنباء - أنباء الدين هى التى عميت عنّا فنبحث فى صدورنا فلا نجد آية نرد بها على الله جل وعلا!!

تذكَّر وقوفك يوم العرض عُرياناً ... مُستوحشاً قَلِق الأحشاء حيرانا
والنار تَلهبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العصاة وربُ العرش غضبانا
إقرأ كتابك يا عبدُ على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته ... وأقررت إقرار مَن عرف الأشياء عِرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غداً فى النار يلتهبوا ... والموحدون بدار الخلد سُكّانا

- وتأمل معى هذا المشهد القرآنى العظيم عندما يصور الخالق جل وعلا هذا المشهد العظيم من مشاهد الآخرة فقال: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ تناديهم الملائكة وتقول: ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

ثم يأتى المشهد الآخر: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ أى انتظرونا أو انظروا إلينا نقتبس من نوركم فلقد انطفأ نورنا: ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ أى ارجعوا إلى الدنيا مرة أخرى إن استطعتم فإن هذا النور أتينا به من الدنيا وهونور الإيمان والقرآن والصدقة والصلاة والصيام.

ثم كانت النتيجة ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ وهو سور الأعراف: ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ من ناحية المؤمنين: ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ من ناحية المنافقين:

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أى ينادى المنافقون على المؤمنين ألم نكن معكم فى الدنيا فكنا نعيش معكم ونأكل معكم ونعمل معكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

فكان الحكم النهائى: ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(الحديد: ١٢ : ١٥).

ثم توجه الخالق جل وعلا بهذا العتاب العظيم لكل مسلم غافل عن طاعة الله.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(الحديد: ١٦). فإن كانت القلوب قد ماتت أو مرضت أو أصبحت قاسية، فإن حياة القلوب بيد علام الغيوب. ولذا قال تعالى بعد تلك الآية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾(الحديد: ١٧).

أما آن الأوان لكى ترجع الأمة إلى القرآن فتقيم شرعه وتتبع منهاجه وتأتمر بأمر الله وأمر رسول الله ﷺ.

- فيا أمة الإسلام.... عودة إلى النبع الأصيل الصافى.... إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتخلصوا من أدران الجاهلية، فوالله لن تجدوا النجاة إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأقيموا الصلاة لله وصوموا لله وأتموا شعائر الله وشرائعه، ولا تجعلوا الدنيا حاجزاً بينكم وبين الله، وسوف تأتيكم الدنيا وهى راغمة.

واسألوا الله أن يرزقكم الصدق فى القول والعمل واسألوه أن يرزقكم الشهادة فى سبيله، فإن النبى ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

- وأخلصوا الدعاء لكل مسلم على الأرض وتوجهوا إلى الله بأن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يأذن لشرعه بأن يَسُود وأن يأذن بتحرير المسجد الأقصى الأسير من أيدى اليهود عليهم لعائن الله.

وما زالت الفرصة قائمة

- ولا تنسوا أن الله عز وجل قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ (الأحزاب: ٢٣).

فمن رحمة الله جل وعلا، بل من كمال رحمته أنه ترك الباب مفتوحًا ولم يغلقه فى وجوهنا... فقال تعالى: ﴿ومنهم من ينتظر﴾، فنسأل الله أن نكون ممن ينتظر ونسعى لنصدق مع الله ليحشرنا فى زمرة الصادقين يوم القيامة.

- والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات التى كتبتها من أجل أن أذكّر نفسى وإخوانى فى الله بضرورة الثبات على دين الله وضرورة التحلى بالصدق مع الله جل وعلا.

ونسأله تعالى أن يغفر ذنوبنا ويستر عيوبنا ويتجاوز عن ذلآتنا، ويحسن خاتمتنا، ويحشرنا فى زمرة المتقين، وأن يرد إليه المسلمين رداً جميلاً، وأن يعيد المجد لأمة الإسلام إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

أبو عمّار

القاهرة فى :

٣٠ صفر سنة ١٤١٨هـ

٥ يولية سنة ١٩٩٧م

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة





رحلة مع الصادقين

فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار

دار التقوى
للنشر والتوزيع